الأب أغاثون

١ ـ قال الأب بطرس تلميذ الأب لوط : كنت ذات يوم في قلاية الأب اغاثون فجاءه أخ يقول : أريد أن أقيم مع الإخوة . قل لي ، كيف أسكن معهم ؟ قال له الشيخ : إحفظ نفسك في غربة طوال أيام حياتك ، تماماً كما تفعل في اليوم الأول عندما تدخل لتقيم معهم ، ولا تكن ذا دالة وإياهم البتة . قال له الأب مكاريوس : وماذا تصنع الدالة ؟ أجابه الشيخ : الدالة تشبه ناراً مضطرمة عندما تحل في مكان يهرب منها الجميع وتتلف ثمار الشجر . فقال له الأب مكاريوس : أبهذا المقدار تكون الدالة مرعبة ؟ قال الأب أغاثون : ليس هناك هوى أشد هولاً من الدالة ، لأنّ الدالة والدة كل الأهواء . لذا ينبغي على العامل الاّ يقتني الدالة حتى ولو كان وحده في القلاية . أعرف أخاً كان يقيم في قلاية زماناً طويلا ، وكان في القلاية سرير صغير . قال : عندما تركت القلاية ، لم أنتبه للسرير ، لو لم يلفتني إليه آخر . ان عاملاً كهذا محاربٌ أيضاً .

٢ ـ قال الأب أغاثون : على الراهب الاّ يترك ضميره يؤنبه لأي شيءٍ مهما كان .

٣ ـ قال أيضاً : بدون حفظ الوصايا الإلهية ، لا يستطيع الإنسان أن يتقدم ولا في فضيلة واحدة .

٤ ـ قال أيضاً : لم أخلد إلى النوم يوماً وفي قلبي شيء على أحد ، ولم أترك أحداً ينام وفي قلبه عليّ شيء . هذا كنت أفعله على قدر طاقتي .

٥ ـ قالوا عن الأب أغاثون ، إن بعض الإخوة جاؤوا إليه ذات يوم بعد أن سمعوا أن عنده نعمة التمييز . فأرادوا أن يجربوه ليروا إذا كان يغضب ، فقالوا له :

أأنت أغاثون ؟ لقد سمعنا أنك فاسق ومتكبر . قال لهم : نعم ، الأمر كذلك . قالوا له : أأنت أغاثون الهرطوقي ؟ أجاب : كلا ، لست هرطوقياً . فسألوه متضرعين : قل لنا لماذا قبلت جميع التهم الموجهة إليك ، أمّا الأخيرة فلم تحتملها ؟ قال لهم : التهم الأولى أراها كلها في نفسي ، وقبولها يعود على نفسي بالمنفعة . ولكن أن يكون المرء هرطوقياً ، فهذا يعني أنه انفصل عن الله ، وأنا لا أريد أن أنفصل عن الله . فلما سمعوا هذا تعجبوا من هذه النعمة وغادروه منتفعين .

٦ ـ قالوا عن الأب أغاثون إنه أمضى مدة طويلة وهو يبني قلاية مع تلاميذه . ولمّا انتهوا من بنائها ، جاؤوا ليقيموا فيها . وفي الاسبوع الأول لاحظ أمراً لم يكن نافعاً له ، فقال لتلاميذه : قوموا ننطلق من ههنا . فاضطرب التلاميذ قائلين : إذا كان عندك فكر الرحيل لماذا تكبدنا كل هذا التعب في بناء القلاية ؟ الناس سيقولون وقد أعثرناهم : ها قد رحل الذين لا يجلسون . فلما رآهم وقد ضعفت نفوسهم ، قال لهم : ربما يشك البعض ، لكن البعض الآخر سينتفع قائلا : هنيئاً لهؤلاء الرجال الذين ، حبّاً باللّه ، رحلوا ماقتين كل شيء . على كل حال ، من أراد أن يأتي معي فليأت ، لأني ماض الآن . فانطرحوا جميعهم على الأرض متوسلين إليه أن يسمح لهم بالذهاب معه .

٧ ـ وأيضاً قالوا عنه إنه مراراً كثيرة كان يرحل حاملاً معه في سلته سكيناً فقط .

٨ ـ سئل الأب أغاثون : ما الأعظم ، التعب الجسدي أم ضبط ما في الداخل ؟ أجاب : الإنسان يشبه شجرة ، والتعب الجسدي هو الورق . أمّا ضبط ما في الداخل فهو الثمر . لأنه وفقاً لما جاء في الكتاب « كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار » (متى ٣ : ١٠) . من الواضح أن كل اهتمامنا يجب أن ينصبّ على الثمر ، أي على حفظ العقل الأعلى . ولكن غطاء الورق وزينته ضروريان ، وأعني التعب الجسدي .

٩ ـ سأله الاخوة أيضاً : ما هي الفضيلة التي تتطلب تعباً أكثر من سواها في الحياة يا

أبت ؟ قال لهم : سامحوني ، لأني أعتقد أنه لا يوجد تعب كتعب الصلاة إلى الله . لأن الإنسان عندما يريد أن يصلّي إلى الله ، يسعى الأعداء لإيقافه ، لأنهم يعرفون أن لا شيء يعيقهم كالصلاة . وأية حياة يسعى إليها الإنسان ممسكاً ينال فيها راحة . إلاّ أن الصلاة تحتاج إلى جهاد يدوم حتى النسمة الأخيرة .

١٠ ـ كان الأب أغاثون حكيماً في التفكير ، عديم التعب في الجسد ، مكتفياً في كل شيء ، في العمل والمأكل والملبس .

١١ ـ هو نفسه كان يمشي مع تلاميذه ذات يوم وكان واحد منهم قد وجد «بازيلا» شاحبة اللون في الطريق ، فقال للشيخ : يا أبت ، أتسمح لي بأخذها ؟ فنظر إليه الشيخ متعجباً وقال له : أأنت الذي وضعتها هنا ؟قال الأخ : كلا . قال له الشيخ : كيف تريد إذاً ، أن تأخذ شيئاً ليس لك ؟

١٢ ـ جاء أخٌ إلى الأب أغاثون قائلا : دعني أُقم معك يا أبتِ . ولما كان ماشياً صادف قطعة صابون صغيرة ، فحملها وجاء بها إلى الشيخ . فقال له الشيخ : أين وجدتها ؟ أجاب الأخ : وجدتها وأنا أمشي في الطريق فحملتها . قال له الشيخ : إذا أتيت لتقيم معي ، كيف تأخذ شيئاً ليس لك ؟ ثم أرسله ليعيدها إلى مكانها .

١٣ ـ قال أحد الإخوة للأب أغاثون : تسلّمت وصية ، وحيث هناك وصية هناك حرب التجارب .وأريد أن أذهب من أجلها ، الا أني أخاف الحرب. قال له الشيخ : لو كان أغاثون لطبّق الوصية وقهر التجربة .

١٤ ـ جاء أغاثون إلى الاسقيط حيث عُقد مجمع في إحدى القضايا واتُّخذ فيه قرار ، وقال للحاضرين : لم تتخذوا قراراً صحيحاً في هذه القضية . أمّا هؤلاء فقالوا له : من أنت الذي يتكلم ؟ أجاب : ابن الانسان ، لأنه مكتوب : « إذا تكلمتم بالبرّ بحق ، فاحكموا حكماً عادلاً يا بني البشر » (مزمور ٥٧ : ٢) .

١٥ ـ قالوا عن الأب أغاثون إنه أمضى ثلاث سنين جاعلاً في فمه حجراً ، حتى تعلّم أن يصمت .

١٦ ـ قالوا أيضاً عن الأب أغاثون والأنبا أمون إنهما عندما كانا يبيعان السلال ، كانا يقولان الثمن مرة واحدة فقط ، وكانا يأخذان ما يعطى لهما بارتياح وهما صامتان . كذلك عندما كانا يشتريان أي شيء ، كانا يدفعان الثمن بصمت ، وكانا يأخذانه بدون أن يتكلما البتة .

١٧ ـ قال الأب أغاثون نفسه : ولا مرة تصدقت على أحد ، إنما الأخذ والعطاء كانا صدقة لي ، لأني كنت أعتقد أن ربح الأخ هو الثمر .

١٨ ـ أغاثون عندما يرى شيئاً ويتحرك فكره للحكم عليه ، يقول لنفسه : يا أغاثون ، لا تفعل أنت هذا . وهكذا كانت أفكاره تهدأ .

١٩ ـ هو نفسه قال : لو أقام الغضوب ميتاً ، لن يكون مقبولاً عند الله .

٢٠ ـ ذات يوم قدم لزيارة أغاثون تلميذان ، كان كل منهما ينسك على انفراد . وذات يوم سأل الأب أغاثون أحدهما : كيف تمضي وقتك في قلايتك ؟ قال : أصوم حتى المساء وآكل خبزتين يابستين . قال له أغاثون : إنها حمية (ريجيم) حسنة ، كونها بلا تعب . ثم قال للآخر : وأنت ، كيف تقضي وقتك في قلايتك ؟ أجاب ذاك : أصوم يومين ، وآكل خبزتين يابستين . فقال له الشيخ : أنت تتعب كثيراً محتملاً حربين[1] . فالذي يأكل كل يوم ولا يشبع ، يتعب . ثمة آخر يريد أن يصوم كلَّ يومين ويشبع . أمّا أنت فتصوم مرتين ولا تشبع .

٢١ ـ سأل أخ الأب أغاثون عن الزنى . فقال له : إذهب واطرح ضعفك أمام الله تجد راحة .

٢٢ ـ ذات يوم مرض الأب أغاثون وشيخ آخر . ولمّا كانا ممدَّدين في القلاية ، كان

---

(١) ـ الحرب مضاعفة ، أولاً ، لأنه يأكل في اليوم الثاني ، وثانياً ، لأنه يأكل عندئذٍ خبزتين ، ولا يشبع .

الأخ يقرأ في سفر التكوين ، فبلغ إلى حيث يقول يعقوب : « يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه ، وسوف تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية » (تكوين ٤٢ : ٣٦ ـ ٣٨) . فأضاف الشيخ إلى هذه الكلمات قوله : « ألا يكفيك العشرة الآخرون يا أبانا يعقوب ؟ » . فقال الأب أغاثون : كفّ عن الكلام أيها الرجل . إذا كان الله يعدل فمن الذي يدين ؟

٢٣ ـ قال الأب أغاثون : إذا كان هناك إنسان أحبه بإفراط ، ولكن فهمت أنه يقودني إلى السوء ، أقطعه عني .

٢٤ ـ قال أيضاً : يجب على الإنسان أن يضع المحكمة الرهيبة نصب عينيه على الدوام .

٢٥ ـ قال الأب يوسف عندما كان الاخوة يتحدثون عن المحبة : ترى هل نعرف ما هي المحبة ؟ ثم قال عن الأب أغاثون إنه كان يملك سكيناً فجاءه أخ وامتدحه ، فلم يتركه يذهب قبل أن يأخذ السكين معه .

٢٦ ـ قال الأب أغاثون : لو كان ممكناً أن أجد أبرصَ أعطيه جسدي وآخذ جسده لكنت سعيداً . لأن هذه هي المحبة الكاملة .

٢٧ ـ قيل أيضاً عن الأب أغاثون إنه نزل إلى المدينة ليبيع السلال ، فوجد إنساناً غريباً مريضاً مطروحاً على الأرض (مرمياً على قارعة الطريق) ، لم يكن له من يعتني به . فمكث معه . واستأجر غرفة ليسكنه وكان يدفع بدل الإيجار من عمل يديه تاركاً الباقي لحاجة المريض . وهكذا بقي مع المريض ثلاثة أسابيع حتى تماثل للشفاء . بعد ذلك عاد الشيخ إلى قلايته بسلام .

٢٨ ـ قال الأب دانيال : قبل أن يأتي الأب أرسانيوس إلى آبائي ، كانوا يقيمون مع الأب أغاثون . وكان الأب أغاثون يحب الأب اسكندر لأنه كان ناسكاً لطيفاً جداً . وحدث أن تلاميذه كانوا يغسلون السّمار (نوع من النبات) في النهر . وكان الأب اسكندر يغسل جيداً . فقال الاخوة الآخرون للشيخ : الأخ

اسكندر لا يفعل شيئاً . فأراد الشيخ أن يصلحهم فقال للأب اسكندر : يا أخي اسكندر ، أغسلها جيداً لأنها من كتان . فلماّ سمع الأب اسكندر هذا الكلام حزن . ولكن بعد حين عزّاه الشيخ قائلاً : أتظن أنني لا أعرف أنك تقوم بعملك خير قيام ؟ إلاّ انني فعلت بك هكذا لكي أصلح أفكارهم بطاعتك يا أخي .

٢٩ ـ قالوا عن الأب أغاثون إنه كان يهتم بحفظ كل الوصايا . ولما كان يمر بمركب كان هو أول من يحمل المجذاف. ولما كان الإخوة يزورونه كان يمد لهم المائدة بيده بعد الإنتهاء من الصلاة . وذلك لأنه كان مليئاً بمحبة الله . ولما أوشك أن يرقد ، ظل ثلاثة أيام فاتحاً عينيه دون حركة . أمّا الإخوة فكانوا يوقظونه قائلين : أيها الأب أغاثون ، أين أنت الآن ؟ قال لهم : أنا واقف أمام محكمة الله . قالوا له : وأنت تخاف يا أبانا ؟ قال لهم : لقد فعلت قدر طاعتي وحاولت أن أحفظ وصايا الله . إلا أنني إنسان . فكيف لي أن أعرف إذا كنت قد أرضيت الله بأعمالي ؟ قال له الاخوة : ألست مقتنعاً بأنّ أعمالك كانت حسب إرادة الله ؟ قال الشيخ : لست مقتنعاً بشيء حتى أقابل الله . لأن محكمة الله شيء ومحكمة الناس شيء آخر . ولما أرادوا أن يسألوه أمراً آخر ، قال لهم : اعملوا لي معروفاً ولا تتكلموا الآن ، لأني مشغول . وهكذا رقد بفرح . فكانوا يرونه يرحل عنهم كما يودع الواحد أحباءه . كان صاحياً في كل شيء . وكان يردد على الدوام : بدون صحو كثير لا يستطيع الإنسان أن يتقدم ولا في فضيلة واحدة .

٣٠ ـ نزل الأب أغاثون إلى المدينة ذات يوم ليبيع عمل يديه ، فصادف على قارعة الطريق مقعداً . قال له المقعد : إلى أين أنت ذاهب ؟ أجابه الشيخ : إلى المدينة لأبيع عمل يديّ . قال له المقعد : اعمل لي معروفاً واحملني إلى هناك . فقام وحمله إلى المدينة . ثم قال له المقعد ثانية : انقلني إلى حيث تبيع عمل يديك . ففعل كما قال له . ولما باع السلال ، قال له المقعد : بكم بعتها ؟ قال

له : بهذا المقدار . ولما باع السلال قال له : اشتر لي كعكة ، فاشترى له . وكان كلّما أراد أن يشتري للمقعد شيئاً يبيع سلة جديدة ، وكان المقعد طول الوقت يسأله عن الثمن ، والشيخ كان يجيبه على سؤاله . وبعد أن باع كل السلال ، همّ بالعودة إلى قلايته ، فقال له المقعد : هل أنت ذاهب الآن ؟ قال له : نعم . قال له المقعد : اعمل لي معروفاً وانقلني إلى حيث وجدتني ، فحمله ونقله إلى مكانه . فقال المقعد : مبارك أنت من الرب يا أغاثون في السماء وعلى الأرض . ولمّا رفع أغاثون عينيه لم يجد أحداً ، لأن المقعد كان ملاك الرب الذي أتى يجرّ به .

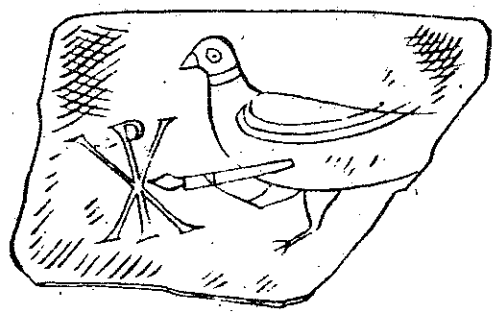

الأب أمون

١ ـ سأل أخ الأب أمون قائلاً : قل لي كلمة . أجاب الشيخ : إذهب وافحص أفكارك كما يفعل فاعلو الشر في السجن . لأن هؤلاء دائماً يسألون الناس أين الرئيس؟ متى يأتي؟ ويبكون من طول الإنتظار. هكذا الراهب عليه أن يتيقظ دائماً ويحاسب نفسه قائلاً: ويلٌ لي! كيف سأقف أمام منبر المسيح؟ ماذا سأجيبه؟ وأنت أيضاً، إذا فكرت هكذا دائماً، تقدر أن تخلص.

٢ ـ قالوا عن الأب أمون إنه قتل ثعباناً ساماً عندما ذهب ذات يوم إلى البرية ليستقي ماء من الجب . هذا لما رأى الثعبان نظر إليه وقال :يا رب إمّا الموت له أو لي . للحال انفجر الثعبان ومات بقوة المسيح .

٣ ـ قال الأب أمون : لقد أمضيت أربع عشرة سنة في الاسقيط متضرعاً إلى الله ليل نهار أن يمنحني القوة لأتغلب على الغضب .

٤ ـ حدّثنا أحد الآباء عن شيخ محب للألم كان يلبس مسوحاً . هذا ذهب لزيارة الأب أمون . فلما رآه الأب أمون لابساً المسوح قال له : هذا لا ينفعك أبداً . فسأله الشيخ قائلاً : ثلاثة أفكار تزعجني : إمّا أن أطوف في البراري أو أن أنتقل إلى بلد غريب حيث لا يعرفني أحد أو أن أحبس نفسي في قلاية لا أقابل أحداً وآكل كل يومين مرة واحدة . قال له الأب أمون : ولا فكرٌ من هذه الثلاثة ينفعك . ولكن امكثْ في قلايتك وكلْ قليلاً كلَّ يوم ، وليكن في قلبك كلام العشّار ، فتخلص .

٥ ـ حدث لبعض الإخوة ضيق في المكان الذي يقيمون فيه . ولما فكّروا في هجرهِ

ذهبوا إلى الأب أمون . في تلك الأثناء كان الشيخ راكباً السفينة . فلما رآهم يمشون على ضفة النهر قال للبحارة : أوصلوني إلى اليابسة . ولمّا دعا الإخوة قال لهم : أنا هو أمون الذي أردتم أن تأتوا إليه . ولمّا عزّى قلوبهم أقنعهم بأن يعودوا إلى حيث أتوا ، لأن القضية لم تثر ضرراً في النفس إنما ضيقاً إنسانياً .

٦ ـ أراد الأب أمون أن يعبر النهر ذات يوم ، فوجد أنهم يعدّون المركب ، فجلس بجانبه . وبعد قليل مرّ مركب آخر في ذلك المكان ونقل الركاب . فقال الذين في المركب للأب أمون : تعال معنا . قال لهم الشيخ : أنا لا أصعد إلا إلى مركب عمومي . وكان معه حزمة من الخوص جلس يحيكها ويفكها من جديد حتى تمّ إعداد المركب . وهكذا صعد إليه وعبر . فصنع له الإخوة مطانية قائلين : لماذا فعلت هكذا ؟ أجابهم الشيخ : لكي لا اجاري أفكاري . وهذا كان مثلاً لنا لكي نسلك طريق الرب بهدوء وسكينة .

٧ ـ ذهب الأب أمون لزيارة الأب أنطونيوس ذات يوم ، فضلّ الطريق . فجلس لينام قليلاً . ولمّا أفاق من غفوته ، صلّى إلى الله قائلاً : أتضرع إليك أيها الرب إلهي أن لا تهلك جبلتك . فلاح له شيء مثل يد مدلاّة من السماء كانت تدله على الطريق ، فجاء إلى مغارة الأب أنطونيوس .

٨ ـ تنبأ الأب أنطونيوس عن الأب أمون قائلاً : أنت تنوي أن تتقدم في مخافة الله . فأخرجه من القلاية وأراه صخرة وقال له : اشتم هذه الصخرة واضربها . ففعل . ثم قال له الأب أنطونيوس : هل تكلمت الصخرة ؟ أجاب : كلا . قال له الأب أنطونيوس : هكذا أنت أيضاً ، ينبغي أن تبلغ إلى هذا القياس . لقد حدث هذا لأن الأب أمون تقدم كثيراً في مخافة الله ، حتى أنه لكثرة صلاحه لم يعد يعرف الشر . ولمّا صار أسقفاً أحضروا إليه عذراء حملت سفاحاً ، وقالوا له : فلان فعل هذا . عاقبها . هذا لما رسم إشارة الصليب على بطنها طلب أن يعطوها ستة أزواج من الشراشف قائلاً : ربما تموت وهي

ذاهبة لتضع ، أو ربما يموت وليدها ولا تجد ما تغطى به لدفنها . فقال له الذين كانوا يتهمونها : لماذا فعلت هذا ؟ عاقبها . أمّا هو فقال لهم : أنظروا يا إخوتي ، انها على وشك أن تموت . أمّا أنا ، فما عساني أقدر أن أفعل ؟ وهكذا أطلقها ، ولم يتجاسر أن يدين أحداً .

٩ ـ قالوا عن الأب أمون إن بعض الإخوة جاؤوا يحتكمون إليه ذات يوم . أمّا الشيخ فتصرف كطفل . وحدث أن امرأة كانت تقف بجانبه . فقالت : ان هذا الشيخ مجنون . فسمعها ولّما دنا منها وناداها ، قال لها : كم من الأتعاب تكبدت في البراري لكي اكتسب هذا الجنون ، وبسببك سأفقده اليوم ؟ ؟ ؟

١٠ـ جاء الأب أمون ذات يوم إلى مكان ليتناول الطعام ، وكان هناك إنسان ذو سمعة سيئة . وحدث أن جاءت امرأة ودخلت إلى قلاية الأخ صاحب السمعة السيئة . فلمّا علم سكان المنطقة بهذا ، اضطربوا وتجمعوا لكي يطردوه من القلاية . ثم علموا أن اسقف أمون في منطقتهم فقصدوه وطلبوا إليه أن يأتي معهم . أمّا الأخ فلمّا علم بقدوم الأسقف أخذ المرأة وخبأها في صندوق كبير . ولّما وصل الجمع ، رأى الأب أمون ما حدث ، لكنه أخفى الأمر حباً بالله . وهكذا دخل القلاية وجلس فوق الصندوق ، وطلب أن يفتش المكان بحثاً عن المرأة . هؤلاء لّما فتشوا المكان ولم يجدوا للمرأة أيّ أثر ، قال لهم الأب أمون : ما الذي جرى لكم ؟ سامحكم الله . ولّما صلّى طلب منهم أن يرحلوا جميعاً . ولّما مضوا أمسك بيد الأخ وقال له : انتبه لنفسك يا أخي . وما ان انتهى من كلمته حتى رحل هو أيضاً .

١١ ـ سئل الأب أمون : ما هي الطريق الضيقة المحزنة ؟ (متى ٧ : ١٤) . أجاب : الطريق الضيقة والمحزنة هي أن يمسك الإنسان أفكاره ويقطع مشيئته حباً بالله . وهذا هو معنى : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » (متى ١٩ : ٢٧) .

الأب أخيلاّ

١ ـ زار ذات يوم ثلاثة شيوخ الأب أخيلا ، وكان أحدهم ذا سمعة سيئة . فقال له الأول : يا أبت ، اصنع لي شبكة . أجابه الشيخ : لن أصنع لك . ثم قال الثاني : اعمل لي معروفاً لكي أذكرك في الدير . أجاب الشيخ : ليس لديّ وقت . ثم قال الثالث ذو السمعة السيئة : اصنع لي شبكة يا أبتِ ، لكي يكون عندي شيء من صنع يدك . للحال أجابه الشيخ : سأصنع لك . فقال له الشيخان على انفراد : لماذا لم ترد أن تصنع لنا مع أننا رجونا منك ، في حين أنك قلت له : « سأصنع لك » ؟ قال لهما الشيخ : قلت لكما : « لن أصنع لكما » ، ولم تحزنا ، لأنه لم يكن عندي متسع من الوقت . أمّا ذاك فقد قبلت طلبه لأنه قد يقول إن الشيخ لم يرد أن يصنع لي شبكة لأنه سمع عن خطيئتي ، وللحال سينقطع أمله . لأجل هذا أنهضت نفسه لئلا يموت هذا المسكين من شدة الحزن .

٢ ـ قال الأب بيتيم : لمّا كنت نازلاً إلى الاسقيط اعطاني بعضهم قليلاً من التفاح لكي أوزعه على الشيوخ . فقرعت باب قلاية الأب أخيلا لكي أعطيه شيئاً منه . فقال لي : في الحقيقة ، يا أخي ، لم أكن أريد أن تطرق بابي الآن ، حتى ولو كان الطارق أمّاً . كذلك لا تتوجه إلى قلاية أخرى . فرحلت إلى قلايتي ، وبعد ذلك أخذت التفاحات معي إلى الكنيسة .

٣ ـ مضى الأب أخيلا إلى قلاية الأب أشعيا في الاسقيط ، فوجده يأكل . وكان قد جعل في القصعة ملحاً وماءً . فلمّا رأى الشيخ أنه قد خبأ القصعة وراء

الحبال ، قال له : قل لي ، ماذا كنت تأكل ؟ قال الأب أشعيا : سامحني يا أبت ، لأني لمّا كنت أقطع الأغصان ارتفعت حرارتي ، فوضعت في فمي خبزاً مع قليل من الملح ، فجف حلقي من شدة الحرارة ، ولم أقدر أن أبتلع الخبز . لأجل هذا اضطررت أن أصبّ قليلاً من الماء في الملح لكي أتمكن من تناول الطعام . لكن سامحني . فقال الشيخ : تعالوا وانظروا أشعيا يحتسي الشوربة في الاسقيط . إذا كنت تريد الشوربة إذهب إلى مصر[1] .

٤ ـ زار أحد الشيوخ الأب أخيلا ، فرآه يتفل دماً ، فسأله : ما هذا يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنه قول أخ قد أحزنني ، فجاهدت لكي لا أعلمه به وتضرعت إلى الله أن يرفعه عني . فصار الكلام دماً في فمي ، فتفلته واسترحت ونسيت ضيقي .

٥ ـ كان الأب أموى يقول : زرت بصحبة الأب بيتيم الأب أخيلا فسمعناه يدرس الآية التالية : « لا تخف يا يعقوب أن تذهب إلى مصر » (تكوين ٤٦ : ٣) . وظلّ مدة طويلة يتأمل فيها . ولمّا طرقنا بابه فتح لنا وسألنا : من أين أنتم ؟ ففزعنا ولم نرد أن نقول له إننا من القلالي بل قلنا : نحن من جبل النطرون . فقال : وماذا أعمل لكم كونكم أتيتم من بعيد ؟ فأدخلنا إلى قلايته ، فوجدناه يحيك في الليل الحبال ، فرجوناه أن يقول لنا السبب . فقال : من المساء حتى الآن أنهيت عشرين باعاً ، وفي الواقع لا أحتاج إليها كلها ، إنما فعلت هذا لئلا يغضب الله ويقول لي : لماذا لم تعمل عندما كنت قادراً على العمل ؟ لأجل هذا أتعب وأعمل قدر طاقتي . فغادرناه منتفعين .

٦ ـ ذات يوم جاء شيخ عظيم من الطيبة إلى الأب أخيلا وقال له : يا أبتِ ، إنني أُحارَب من أجلك . قال له الأب أخيلا : إذهب عني يا أبت ، أتقول أنك تحارب الآن من أجلي ؟ أجاب الشيخ بتواضع وقال : نعم ، يا أبتِ . وكان هناك عند الباب شيخ أعمى وأعرج ، فقال له الشيخ : أردت أن أقيم هنا

---

(١) كناية عن شظف العيش هناك .

بضعة أيام ، ولكن بسبب هذا الشيخ لا أقدر . فلما سمع الأب أخيلا هذا الكلام تعجب من تواضع الشيخ وقال : هذا ليس زنى ، إنما حسد الشياطير الأشرار .

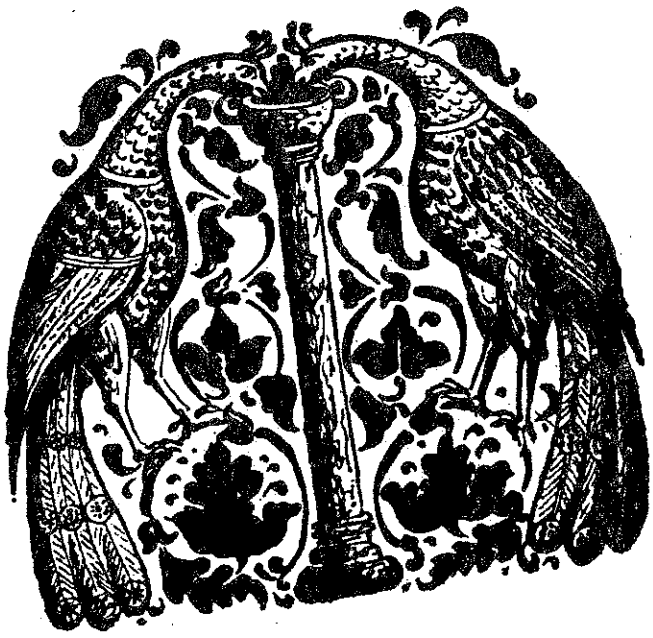

الأب أمّوى

١ ـ قالوا عن الأب أموى إنه، عندما كان يذهب إلى الكنيسة ، لم يكن يدع تلميذه يسير إلى جانبه بل بعيداً عنه . وإذا حدث أن جاءه ليسأله عن أفكاره ، ما إن يذكر له فكراً واحداً حتى يطرده للحال قائلاً: ربما عندما نتكلم على المنفعة، يدخل بيننا حديث غريب . لأجل هذا لا أتركك بجانبي(١).

٢ ـ كان الأب أموى يقول للأب أشعيا: قبل كل شيء ، كيف تراني الآن ؟ قال له : كالملاك يا أبت . وبعد قليل، قال له : والآن كيف تراني يا أبت ؟ أجابه : كالشيطان . لأنك لو قلت لي كلمة صالحة تكون عندي كالسيف .

٣ ـ قالوا عن الأب أموى إنه لمّا كان يمرض ويلازم الفراش زمناً طويلاً ، لم يكن يترك فكره أبداً ينتبه إلى داخل القلاية ليرى ما فيها ، لأنهم قدموا له الكثير بسبب مرضه . ولمّا كان تلميذه يوحنا يدخل ويخرج ، كان هو يغلق عينيه لئلا يرى ما يفعله ، وذلك لأنه عرف أنه كان راهباً أميناً .

٤ ـ قال الأب بيمين إن أخاً زار الأب أموى طالباً منه كلمة . ولمّا أقام معه سبعة أيام لم يجبه الشيخ . وعندما شيّعه قال له : إذهب وانتبه لنفسك . أمّا أنا فخطاياي قد صارت جداراً مظلماً بيني وبين الله .

٥ ـ قالوا عن الأب أموى إنه عمل ثلاثين كيلوغراماً من القمح لوقت الحاجة . ولكن قبل أن تجف جيداً ، رأى في المكان أمراً غير نافع ، فقال لأولاده (تلاميذه) : لنرحل من هنا . فحزن التلاميذ جداً . لكن لمّا رآهم حزانى قال لهم : صناديق مليئة بكتب من الرق . أتحزنون من أجل الخبز؟ في الواقع إني رأيت البعض يغادرون بيوتهم تاركين كل شيء دون أن يغلقوا الأبواب، بل تركوها مفتوحة على مصراعيها .

(١) إشارة إلى موضوع الدالة وأثرها على العلاقات بين الاخوة .

الأب أمون النطروني

١ ـ زار الأب أمون النطروني الأب أنطونيوس وقال له : أنا أتعب أكثر منك ، فكيف يتمجد إسمك بين الناس أكثر مني ؟ قال له الأب أنطونيوس : لأني أحب الله أكثر منك .

٢ ـ قالوا عن الأب أمون إنه قد أمضى شهرين في جرن من الشعير . وحدث أن زار الأب بيمين وقال له: إذا ذهبت إلى قلاية قريبي، أو إذا جاء هو لعندي لحاجة ما ، نخاف أن نكلم بعضنا لئلا يخرج من فمنا كلام غريب . فقال له الشيخ : حسناً تفعل ، لأن الشباب يحتاج إلى الحذر واليقظة . فقال له الأب أمون : إذن ، ماذا كان يفعل الشيوخ ؟ قال له : بما أن الشيوخ تقدموا في الحياة الروحية ، لم يعد على لسانهم وفي داخلهم شيء غريب يقولونه . ثم قال له: إذا احتجت أن أكلّم قريبي، ماذا تقترح عليّ؟ هل أكلّمه من الكتاب المقدس أو من كلمات الشيوخ القديسين؟ قال له الشيخ: إذا لم تكن قادراً على الصمت، فالأفضل أن تكون كلماتك من أقوال الشيوخ وليس من الكتاب المقدّس لأن هذا الخطر ليس بقليل.

٣ ـ جاء أخ من الاسقيط إلى الأب أمون وقال له : لقد أرسلني أبي في خدمة وأخاف الزنى . أجابه الشيخ : عندما تأتيك التجربة قل : يا إله القوات ، بصلوات أبي أعتقني . وذات يوم دخلت عليه فتاة عذراء وأغلقت الباب . فقال هذا بصوت قوي : يا إله أبي أعتقني . للحال وجد نفسه على طريق الاسقيط[1].

(١) إشارة إلى منزلة الأب الروحي عند الله في الاستشفاع .

الأب أنّوف

١ ـ حدّثنا الأب أنوف أن الأب بيمن وإخوته الآخرين الذين ولدوا من الحشا نفسه ، والذين أصبحوا رهباناً في الاسقيط ، عندما جاء الغزاة وخرّبوه للمرة الأولى (في مطلع القرن الخامس) ، رحلوا من هناك وجاؤوا إلى مكان اسمه تيرنوثين حتى يفكروا أين ينبغي لهم أن يقيموا ، وأقاموا هناك في بيت قديم بضعة أيام . ثم قال الأب أنوف للأب بيمن : إعمل لي معروفاً أنت وإخوتك ، في أن يعيش كل واحد لوحده وأن لا يقابل أحدنا الآخر في هذا الأسبوع . أجاب الأب بيمن : سنعمل كما تريد . وفعلوا هكذا. وكان هناك في الهيكل تمثال من حجر ، فكان الأب أنوف ينهض في الصباح ويرجم وجه التمثال . وعند المساء كان يقول له : سامحني . وهكذا أمضى الأسبوع كله وهو يعمل هكذا . وفي السبت تقابل الجميع ، فقال الأب بيمن للأب أنوف : رأيتك هذا الأسبوع يا أبت وأنت ترجم وجه التمثال ثم تعود وتسجد له . هل يفعل إنسان مؤمن مثل هذا ؟ أجابه الشيخ : هذا الأمر فعلته من أجلكم . أنتم عندما رأيتموني أرجم وجه التمثال ، ترى ، هل تكلم أو غضب ؟ أجاب الأب بيمن : لا . قال الأب أنوف : وأيضاً لمّا كنت أسجد له ، ترى هل اضطرب وقال : لا أسامحك ؟ فقال الأب بيمن : لا . فقال الشيخ : ونحن أيضاً سبعة إخوة ، إذا كنتم تريدون أن نقيم معاً ، لنكن كالتمثال ، فإنه إذا شُتم أو امتُدح لا يضطرب ، وإذا لم تريدوا الحال هكذا ، أمامكم أربعة أبواب في الهيكل وكل واحد منكم يستطيع أن يذهب في الطريق الذي يشاء . فسقطوا على الأرض قائلين للأب أنوف : كما تريد يا أبانا ،

سنفعل ونسمع ما تقوله لنا . فقال الأب بيمن : إننا أقمنا معاً الوقت كله عاملين بكلمة الشيخ الذي عينّ أحدثنا مدبراً ، وكنّا نأكل كل ما يقدمه لنا هذا الأخ المدبّر ، ولم يكن أحدنا يقول له : « أحضر لنا شيئاً آخر » ، أو يقول : « لا نريد أن نأكل هذا » . وهكذا أمضينا الوقت براحة وسلام .

٢ ـ قال الأب أنوف : منذ أن حلّ عليّ إسم المسيح ، لم يخرج من فمي كذب .

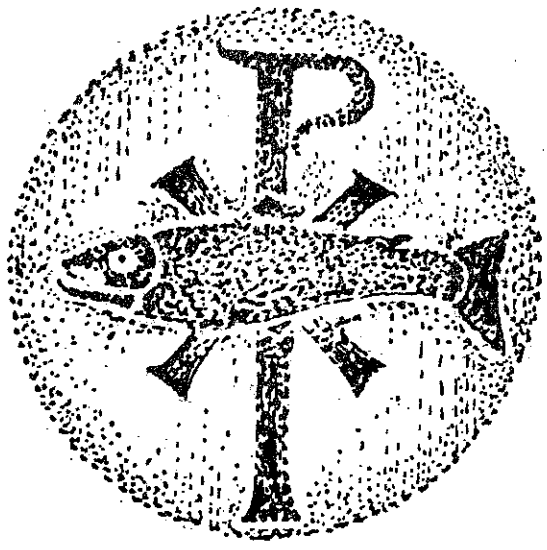

الأب إبراهيم

١ ـ قالوا عن شيخ إنه عاش ٥٠ سنة دون أن يأكل خبزاً أو يشرب خمراً . وكان يقول : لقد قتلت الزنى وحب الفضة والمجد الفارغ . ولمّا سمع الأب ابراهيم أنه قال هذا ، جاء إليه وقال له : أنت قلت هذا الكلام ؟ قال له الشيخ : نعم . فقال له الأب ابراهيم : هب إنك دخلت قلايتك ووجدت على البساط امرأة ، هل تقدر أن تفكر أنها ليست امرأة ؟ قال : كلا . إنما أُحارِبُ بفكري لئلا ألمسها . فقال له الأب ابراهيم : لم تقتله ، فالهوى ما زال حياً فيك ، إنما قد قيّد . وأيضاً إذا كنت تمشي ، وفي الطريق صادفت ذهباً ، هل يستطيع عقلك أن يعتبر الذهب كالخزف ؟ أجاب الشيخ : كلا ، إلاّ إنني أحارب بفكري لئلا آخذه . فقال له الأب ابراهيم : إذن لا يزال الهوى حياً فيك ، لكنه قد قيّد . ثم قال له الأب ابراهيم : افترض أنك سمعت عن أخوين أن أحدهما يحبك والآخر يمقتك ويفتري عليك . وإذا حدث أن جاء هذان إليك ، هل تعاملهما بالمثل؟ قال: كلا ، إنما أحارب بفكري كي أحسن إلى الذي يمقتني وأعامله كالذي يحبني . أجابه الأب ابراهيم : إذاً ، الأهواء ما تزال حيّة ، إلاّ أنها قد لجمت عند القديسين .

٢ ـ سأل أخ الأب ابراهيم قائلاً : إذا حدث وأكلت عدة مرّات فما هذا يا ترى ؟ أجابه الشيخ قائلاً : ماذا تقول يا أخي ؟ أتأكل هذا المقدار ؟ هل تعتقد أنك أتيت إلى بيدر ؟[1]

---

(١) في البيدر تأكل الحيوانات بحرية ، هذا ما يرمي إليه الأب في جوابه .

٣ ـ قال الأب ابراهيم عن إنسان اسقيطي ، إنه كان ناسخاً ، ولا يأكل خبـزاً . فجاءه أخ ذات يوم وتضرع إليه أن ينسخ له كتاباً . ولمّا كان العقل الأعلى عند الشيخ يرى الله ، نسخ له ما أراد ، مع بعض الحذف وبدون تنقيط . فعندما أخذ الأخ الكتاب وأراد أن يضع النقاط ، وجد أن ثمة كلمات ناقصة ، فقال للشيخ : هناك مقاطع محذوفة يا أبت . أجابـه الشيخ : إذهـب أولاً وطبّـق المكتوب ، وبعد ذلك تعال لأكتب لك الباقي[1].

الأب آرى

١ ـ زار الأب ابراهيم الأب آرى . وبينما هما جالسان ، دخل أخ على الشيخ وقال له : قلْ لي ، ماذا أعمل لكي أخلص ؟ قال له الأب : إذهب وأَمْضِ هذه السنة وأنت تأكل عند المساء خبزاً وملحاً ، وبعد انتهاء المدة تعال فأقول لك . فمضى وفعل هذا . ولمّا تمت السنة عاد الأب آرى . وحدث أن كان هنـاك الأب ابراهيم أيضاً. فقال الشيخ للأب : إذهب وصمْ هذه السنة أيضاً وكلْ كلْ يومين . ولمّا مضى الأخ ، قال الأب ابراهيم للأب آرى : لماذا تحدد لجميع الإخوة حملاً خفيفاً ، بينما تفرض على هذا الأخ أحمالاً ثقيلة ؟ أجابه الشيخ : إن الاخوة جميعهم يأتون للحديث ثم يرحلون . أمّا هذا الأخ فيأتي ليسمـع كلمة حباً بالله . فهو يحب العمل ، وكل ما أقوله له يتممه بفرح وحماس . لهذا أنا أكلمه بكلمة الله .

---

(١) إشارة إلى مكانة الكتاب المقدس في السلوك والسيرة .

الأب ألونيوس

١ ـ قال الأب ألونيوس : إذا لم يقل الإنسان في قلبه : « أنا والله ، فقط ، في العالم » ، لن يجد راحة البتة .

٢ ـ وقال أيضاً : إذا لم أهدم كل شيء لا أستطيع أن أبني نفسي .

٣ ـ وقال أيضاً : إذا اراد الإنسان يقدر أن يصل إلى القامة الإلهية من الصباح حتى المساء .

٤ ـ سأل الأب أغاثون الأب ألونيوس قائلاً : كيف أقدر أن أمسك لساني عن الكذب ؟ قال له الأب ألونيوس : إذا لم تكذب فإنك ستقترف خطايا كثيرة . فقال له : وكيف يكون هذا ؟ قال له الأب ألونيوس : إنسانان اقترفا أمامك جريمة قتل ، والواحد لجأ إلى قلايتك . فجاء الحاكم يفتش عنه عندك وسألك : هل جرت أمامك جريمة قتل ؟ إذا لم تكذب ستسلم الإنسان إلى الموت . إنما بالأحرى اتركه أمام الله بدون قيود ، لأنه (أي الله) يعرف كل شيء .[٢]

---

(١) إشارة إلى أن التوبة عملية جذرية .

(٢) هنا عممت حالة واحدة فبُرّر الكذب . يبدو أن شيئاً ما سقط من النص ، ولذلك بقي المعنى ناقصاً . في مخطوطة أخرى نجد جواباً أكثر ملائمة « ليكن عقلك متجهاً دائماً نحو خوف الله وتذكر الموت باستمرار ، ولا تكذب أبداً » . لعل ربط شيئين قد وقع في الجواب الأصلي : أولاً ، تجنب الكذب خوفاً من الله . وثانياً ، السماح بالكذب في حالات معينة .

الأب أبفي

١ ـ قالوا عن أسقف أوكسير ينخو المدعو الأب أبفي إنه ، لمّا كان راهباً ، كان يقس
على نفسه جداً . ولمّا صار أسقفاً أراد أن يطبّق القسوة ذاتها في العالم ، فلم
يفلح . فانطرح أمام الله قائلاً : ترى هل غادرتني النعمة بسبب الأسقفية ؟
فأعلن له : لا . ولكن آنذاك ، كان الموضع مقفراً ، لذلك كان الله يعضدك ؛
ولكن ، في العالم هناك أناس يعضدونك .

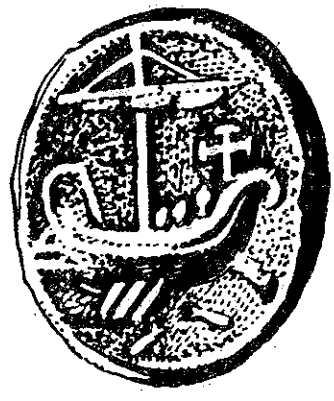

الأب أبو للوس

١ ـ كان في القلالي شيخ يدعى أبو للوس ، كثيرا ما كان يقصده الناس في طلب خدمة ، فكان يذهب معهم بفرح قائلا : اليوم سأشتغل مع المسيح من أجل نفسي ، لأن هذا هو أجرها .

٢ ـ قالوا عن انسان اسمه الأب أبو للوس في الاسقيط إنه كان راعياً فظاً . وذات يوم رأى امرأة حاملاً في الحقل ، فحركه الشيطان وقال : أريد أن أرى كيف يقيم الجنين في حشاها . ولما شطرها رأى الجنين . للحال ضربه قلبه ونخسه فجاء إلى الاسقيط وأخبر الآباء بما فعل . فسمعهم يرتلون : « أيام سنينا سبعون سنة ومع القوة ثمانون وأكثرها تعب ووجع » . فقال لهم : لي من العمر أربعون سنة دون أن أقيم صلاة واحدة . والآن إذا كُتب لي أن أعيش أربعين سنة أخرى ، لن أكفّ عن الصلاة إلى الله لكي يسامحني على خطاياي . ولم يكن يمارس عمل اليد ، لكنه كان يصلي دائماً قائلاً : لقد خطئت كإنسان ، ولكن أنت كإله إرحمني . فصارت صلاته هذه همه في الليل والنهار . وكان هناك أخ يعيش معه ، فسمعه يقول : لقد أحزنتك يا رب ، اتركني أرتاح قليلاً . فجاءه يقين أن الله قد سامحه على كل خطاياه حتى عن الخطيئة التي اقترفها بحق المرأة ، ولكن عن الولد لم يُعطَ له أي تأكيد . فقال له أحد الشيوخ : خطيئتك نحو الصبي (الجنين) قد غفرها لك الله ، إلاّ أنه تركك في الألم لأن هذا يوافق نفسك .

٣ ـ قال الأب أبوللس عن استقبال الاخوة : ينبغي أن ننحني للاخوة الذين يأتون

إلينا ، لأننا لا ننحني لهم إنما لله . لأنه يقول : إذا رأيت أخاك رأيت الرب إلهك . وقال : هذا قد أخذناه عن ابراهيم ، فأنتم عندما تقبلون الزوار ينبغي أن تريحوهم ، لأن هذا قد تعلمناه من لوط الذي أضاف الملائكة .

الأب اندراوس

١ ـ قال الأب أندراوس : الراهب تناسبه هذه الثلاثة : غربة ، فقر وصمت مع صبر .

الأب آييو

١ ـ قالوا عن شيخ في الطيبة اسمه انديانوس ، إنه قد أحسن كثيراً في شبابه ، وفي شيخوخته مرض وكُفَّ بصره . وكان الاخوة يبذلون تعباً كثيراً وهم يهتمون به في مرضه ، وكانوا يطعمونه بأيديهم . فسألوا الأب آييو عنه : ماذا سيحدث بهذا الاهتمام كله ؟ أجاب الشيخ : أقول لكم إنه إذا كان قلبه يرغب ويوافق بسرور ، فإنه ، حتى لو أكل تمرة واحدة ، فالله يخرجه من أتعابه . ولكن إذا لم يوافق إنما يأخذ رغماً عنه ، وبدون إرادته ، فالله يحفظ تعبه صحيحاً كاملاً ، لأنه يغتصب بدون إرادته . أولئك سينالون أجرهم .

الأب أموناثا

١ ـ جاء أحد الولاة إلى الاسقيط ، وأراد أن يجبي ضريبة من الرهبان كما يفعل مع أهل العالم . فاجتمع الاخوة كلهم لدى الأب أموناثا ، واختاروا بعض الآباء كي يرسلوهم إلى الملك . فقال لهم الأب أموناثا : لا حاجة بكم إلى مثل هذا التعب ، بل اهدأوا في قلاليكم وصوموا أسبوعين وبنعمة الله أنا وحدي سأتدبر الأمر . فعاد الجميع إلى قلاليهم ، والشيخ أيضاً عاد إلى قلايته . ولما مرّ أربعة عشر يوماً غضب الاخوة وحزنوا جداً لأنهم لم يروا الشيخ قد حرّك ساكناً بعد . وكانوا يقولون : لقد أتلف الشيخ قضيتنا . وفي اليوم الخامس عشر اجتمعوا كلهم حسب الاتفاق ، فجاءهم الشيخ يحمل المرسوم موقعاً ومختوماً من الملك . فلما رأوا هذا تعجبوا قائلين : متى أحضرت هذا يا أبانا ؟ أجابهم الشيخ : صدقوني يا إخوتي إني ذهبت هذه الليلة إلى الملك فكتب لي المرسوم هذا . ثم توجهت إلى الإسكندرية ووقعته من الولاة . ومن ثم عدت إليكم . فلما سمعوا هذا الكلام خافوا وخرّوا أمامه ساجدين . فانتهت مشكلتهم ولم يعد الوالي يزعجهم .

القديس باسيليوس الكبير

١ ـ قال أحد الشيوخ إن القديس باسيليوس الكبير ، عندما زار أحد الأديار ، ق
لرئيس الدير بعد إعطائه التعليم الصحيح : هل عندك أخ يحفظ الطاعة ؟ فق
له : جميعهم عبيدك ويهمهم أن يخلصوا يا سيد . قال له ثانية : هل عندك ح
من يحفظ الطاعة ؟ فقدم له رئيس الدير أخاً ، فأخذه القديس باسيليوس وأقا
على خدمة المائدة . وبعد الانتهاء من الطعام أعطاه ليغتسل . ثم قال
القديس : تعال ، سأعطيك أنا أيضاً لتغتسل . فقبل الأخ أن يسكب
القديس ماء ليغتسل . وبعد ذلك قال له : عندما أدخل إلى الهيكل تع
لأرسمك شماساً . وبعد أن رسمه شماساً جعله كاهناً ثم أخذه معه إلى أبرشـ
بسبب طاعته .

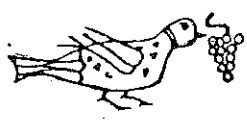

الأب بيساريوس

١ ـ قال الأب ذولاس تلميذ الأب بيساريوس : كنا نسير ذات يوم على شاطىء البحر ، فعطشت وقلت للأب بيساريوس : أنا عطشان جداً يا أبي . فلمّا صلّى الشيخ قال لي : اشرب من ماء البحر . فصار ماء البحر عذباً فشربت . ثم جعلت بعض الماء في وعائي تحسباً للعطش بعد حين . فلما رآني الشيخ أفعل هذا ، قال لي : لماذا ملأت وعاءك ماء ؟ فقلت له : سامحني يا أبت لأني فعلت هذا مخافة من الظمأ بعد حين . فقال الشيخ : الله هنا وفي كل مكان .

٢ ـ وذات يوم ، لما احتاج صلّى إلى الله واجتاز النهر الذهبي ماشياً إلى الضفة الثانية . أمّا أنا فتعجبت وسجدت أمامه قائلاً : ماذا كنت تحس في قدميك وأنت تجتاز النهر ؟ قال الشيخ : كنت أحس بالماء حتى كَعبي ، أمّا الباقي فكان ناشفاً .

٣ ـ وذات يوم لما كنا منطلقين إلى أحد الشيوخ ، وأوشكت الشمس أن تغيب ، صلّى الشيخ قائلاً : أتوسل إليك يا رب أن تتوقف الشمس عن سيرها حتى أصل إلى عبدك . فكان له ما أراد .

٤ ـ جاؤوه ذات يوم إلى قلايته ، فوجدوه واقفاً يصلّي ويداه ممدودتان نحو السماء . وقد بقي على هذه الحال أربعة عشر يوماً . وبعد ذلك تادانـي وقال لي : إتبعني . ولما خرجنا ، توجهنا إلى البرية . ولما شعرت بالعطش قلت له : يا أبت ، أنا عطشان . فأخذ الشيخ وعائي الجلدي وابتعد إلى رمية حجر ، ولما

صلّى عاد إليّ وسلّمني إياه وهو مملوء ماء . ولما مشينا وصلنا إلى كهف فدخلناه ، فوجدنا فيه أخاً جالساً يحيك الحبال . لكنه لم ينظر إلينا ولم يلق علينا التحية ، ولم يشأ البتة أن يدخل في حديث معنا . فقال لي الشيخ : لنرحل من هنا . يبدو أن الشيخ لا يريد أن يكلمنا. فمشينا نحو « ليكو » حتى وصلنا إلى الأب يوحنا . وبعد أن قبّلناه صلّينا . بعد ذلك جلسا ليتحدثا عن الرؤيا الإلهية التي رآها . فقال الأب بيساريوس إنه قد تم التوصل إلى قرار يقضي بهدم المعابد الوثنية (في زمن الملك ثيوذوسيوس الأول ، أي في أواخر القرن الرابع) . وهذا ما حصل فعلاً ، فقد دمرت المعابد الوثنية كلها . وأثناء عودتنا مررنا بالمغارة حيث رأينا الأخ ، فقال لي الشيخ : دعنا ندخل عليه ، ربما أوحى إليه الله أن يكلمنا . ولما دخلنا وجدناه ميتاً ، فقال لي الشيخ : هلمَّ يا أخي نلف هذا الجسد ، لأنّ الله لهذا الغرض قد أرسلنا إلى هنا . ولما بدأنا بلفّه وجدنا أنه كان لامرأة ، فتعجب الشيخ وقال : أنظر كيف أن النساء أيضاً يحاربن الشيطان بينما نحن في المدن نسلك سلوكاً غير لائق . ولما مجدنا الله الذي يدافع عن محبيه ، غادرنا المكان عائدين إلى مقرنا .

٥ ـ جاء ذات يوم إلى الاسقيط إنسان به شيطان ، وأقيمت من أجله صلاة في الكنيسة ، إلاّ أن الشيطان لم يخرج منه لأنه كان قوياً . فقال الكهنة : ماذا نعمل بهذا الشيطان ؟ لا أحد يقدر أن يخرجه إلاّ الأب بيساريوس . ولكن إذ توسلنا إليه أن يخرجه لن يأتي حتى إلى الكنيسة . إذن سنفعل هذا دون أن نعلمه ، لأن الأب بيساريوس يأتي إلى الكنيسة عند الصباح قبل الجميع . ونحن سنضع المريض في طريقه . وعندما يدخل سنقف للصلاة ونقول له : أنهض الأخ يا أبانا . وهكذا عملوا . فعندما جاء الأب بيساريوس إلى الكنيسة عند الصباح ، وقف الإخوة جميعهم للصلاة ، وقالوا له : أنهض الأخ يا أبانا . فقال له الشيخ : انهض واخرج . للحال خرج منه الشيطان ، فشفي من تلك الساعة .

٦ ـ قال الأب بيساريوس : لقد أمضيت أربعين يوماً وأنا أقف في عليقة دون أن أنام .

٧ ـ خطىء أحد الاخوة ، فطرده الكاهن من الكنيسة . فنهض الأب بيساريوس وخرج مع المطرود قائلاً : وأنا أيضاً خاطىء .

٨ ـ قال الأب بيساريوس : خلال أربعين سنة لم أنم على جنبي ، بل كنت أنام جالساً أو واقفاً .

٩ ـ وقال هو نفسه : عندما تكون في سلام وغير محارَب ، عندئذ اتّضع أكثر ، إذ إننا ربما بسبب دخول فرح غريب ، نفتخر فنسلَّم للمعارك ، لأن الله لا يسمح مراراً كثيرة أن نسلَّم إلى المعارك ، بسبب ضعفاتنا ، لئلا نضيع .

١٠ ـ سأل أخ ، يقيم مع اخوة ، الأب بيساريوس قائلاً : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : أصمت ولا تقارن نفسك بالآخرين .

١١ ـ قال الأب بيساريوس وهو على فراش الموت : ينبغي أن يكون الراهب كالشاروبيم والسارافيم ، كلّه عين .

١٢ ـ قال تلاميذ الأب بيساريوس إن حياته كانت كحياة إحدى طيور السماء أو سمك البحر أو الحيوانات البرية التي بدون اضطراب أو همّ ، لأنه لم يكن يشغله اهتمام بيتي ولا رغبة أمكنة كانت تسيطر على نفسه . فلم ينشغل بشبع الطعام ولا ببناء المساكن ، ولا بتداول الكتب ، إنما كان بالكلية حراً من كل أهواء الجسد ، ومغتذياً برجاء المستقبلات ، ومحاطاً بقوة الإيمان . وكان يحتمل كأسير هنا وهناك ، مقيماً في البرد ومحتملاً العري ومستدفئاً على الدوام بنور الشمس ، وعائشاً بدون سقف ، ومتجولاً في البراري كالكواكب . وكثيراً ما كان يسرّ بالتجوال في القفر كما في بحر . وإذا حدث أن أتى إلى مكان مأهول يعيش فيه الرهبان حياة مشتركة ومتشابهة ، كان يبكي جالساً خارج الأبواب ويضرب نفسه كإنسان مرميّ بعد تحطم السفينة . بعد ذلك ، إذا خرج أحد الإخوة ووجده جالساً كمتسول وكواحد من فقراء هذا العالم ، كان يقترب منه

ويقول له بشفقة : لماذا تبكي أيها الإنسان ؟ إذا احتجت شيئاً من الضروريات ستأخذه حسب القدرة. أدخل فقط واشترك معنا بمائدتنا فتتعزى . أمّا هو فكان يجيب بأنه لا يقدر أن يقيم تحت سقف قبل أن يجد مكان سكناه . وكان يقول إنه قد خسر أموالاً كثيرة بطرق مختلفة « لأنني وقعت بين لصوص ، وانكسرت بي السفينة فسقطت من شرفي ونسبي وصرت بلا مجد بعد أن كنت ممجداً » . أمّا الأخ فيحزن لهذه الكلمة ويدخل الدير ويحضر خبزاً ويعطيه للفقير بيساريوس قائلاً له : خذ هذا يا أبت والباقي سيعطيك الله إياه : الوطن ، العائلة ، والثروة ، كما قلت . أمّا هو فكان يحزن أكثر ويصرخ بقوة قائلاً : لا أعرف أن أقول إذا كنت أستطيع أن أجد ما فقدت وما أبحث عنه . إنما سأسلم للآلام أكثر ، مخاطراً كل يوم حتى الموت دون أن أجد راحة لمصائبي التي لا تحصى ، لأنه ينبغي لي أن أتم الطريق تائهاً على الدوام .

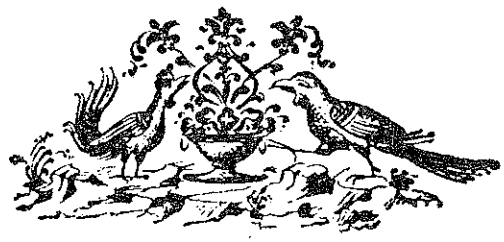

الأب بنيامين

١ ـ قال الأب بنيامين : لما نزلنا من جمع الغلال إلى الاسقيط ، قدّموا إلى كل واحد منا هدية من نتاج الإسكندرية ، وهي عبارة عن وعاء زيت مجصص يسع نصف كيلوغرام . فلما جاء الموسم الجديد طفق الاخوة يحملون إلى الكنيسة كلّ ما فضل عنهم . وأنا لم أكن قد فتحت وعائي بعد ، إلاّ اني ثقبته بالإبرة وأخذت منه قليلاً ، وكنت أظن اني فعلت أمراً عظيماً . فأحضر الاخوة أوعيتهم كما هي ، أمّا وعائي فكان مثقوباً . ومن شدة الخزي ، شعرت وكأني قد زنيت .

٢ ـ قال الأب بنيامين كاهن القلالي : زرنا أحد الشيوخ في الاسقيط ، وأردنا أن نصبّ له قليلاً من الزيت ، فقال لنا : ها هو وعائي الذي أحضرتموه إليّ قبل ثلاث سنوات . إنه على حاله كما أحضرتموه . فلما سمعنا هذا اندهشنا من سيرته .

٣ ـ قال هو نفسه : زرنا شيخاً آخر ، فأمسكنا لتناول الطعام وسكب لنا زيتاً نباتياً ، فقلنا له : ضع لنا يا أبت زيتاً يؤكل . أمّا هو فلما سمع هذا الكلام رسم إشارة الصليب قائلاً : لا أعرف إذا كان هناك زيت آخر .

٤ ـ قال الأب بنيامين لأبنائه وهو في النزاع الأخير : اعلموا هذا فتخلصوا : «دائماً افرحوا ، صلّوا بلا انقطاع ، واشكروا على كل شيء» (١ تسا ٥ : ١٦) .

٥ ـ قال هو نفسه : اسلكوا الطريق الملوكي واحصوا الأميال ولا تكونوا غير مبالين .

الأب بياري

١ ـ سأل أحد الاخوة الأب بياري قائلاً : يا أبت ، ماذا أعمل لأخلص ؟ أجابه الشيخ : إذهب واجعل بطنك صغيراً وقلّل عمل يديك ولا تضطرب في قلايتك فتخلص .

القديس غريغوريوس اللاهوتي

١ ـ قال الأب غريغوريوس : ثلاثة أمور يطلبها الله من الإنسان الذي اقتبل سر المعمودية : الإيمان القويم من كل النفس ، الحقيقة من الفم ، والتعقل من الجسد .

٢ ـ وقال أيضاً : حياة الإنسان كلها يوم واحد بالنسبة للذين يتعبون بشوق .

الأب جيلاسيوس

١ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه كان لديه كتاب من جلد قيمته ثماني عشرة قطعة نقدية ، وكان مدوّناً فيه كل العهد القديم والجديد ، وقد وضعه في الكنيسة لكي يتمكن كل من أراد من الاخوة أن يقرأه . وحدث أن جاء أحد الاخوة الغرباء لزيارة الشيخ ، فرغب ، لمجرد رؤيته الكتاب ، في أن يأخذه . فسرقه ومضى . أمّا الشيخ فلم يلحقه ليمسك به مع أنه شعر بما فعل . فمضى الأخ إلى المدينة ملتمساً بيع الكتاب . ولما وجد من يشتريه ، طلب ثمنه ست عشرة قطعة نقدية . فقال له الذي أراد أن يشتريه : أعطني الكتاب أولاً لأتفحصه ، ومن ثم أدفع لك الثمن . فأعطاه إياه . هذا لما أخذ الكتاب ، مضى به إلى الأب جيلاسيوس لكي يثمّنه قائلاً له السعر المدفوع ، وذاكراً له البائع . فقال له الشيخ : خذه لأنه جيد ويستحق الثمن . ثم عاد ذلك الإنسان وقال للأخ غير ما قاله الشيخ و: ها قد أريته للأب جيلاسيوس. فلما سمع هذا قال: ألم يقل لك الشيخ أمراً آخراً؟ قال له: كلا. عندئذ قال: لا أريد أن أبيعه. ثم جاء إلى الشيخ بتأثر نادماً وراجياً إياه أن يقبله . لكن الشيخ أبى أن يأخذ الكتاب . فقال الأخ : إن لم تأخذه لن أكون في راحة . أجابه الشيخ : إذا كنت لن ترتاح عندئذ سأقبله . وأقام الأخ هناك حتى رقاده مستفيداً من عمل الشيخ ومنتفعاً .

٢ ـ أورث أحد الشيوخ ، وكان راهباً يسكن قرب نيكوبوليس (في فلسطين) ، القلاية التي كان يقيم فيها حاكم نيكوبوليس المدعو فكاتوس والأرض التي

حولها ، إلى الأب جيلاسيوس . ولكن أحد المزارعين القريبين من الشيخ المتوفىً جاء إلى الأب جيلاسيوس وطلب منه الأرض مدعياً أنه بحسب القانون كان ينبغي أن تكون الأرض له . وكان عنيفاً ، فأراد أن يغتصب الأرض بالقوة . لكن الأب جيلاسيوس رفض طلبه لأنه لم يرد أن يعطي رجلاً من العالم قلاية رهبانية . فلما رأى فكاتوس حيوانات الأب جيلاسيوس تنقل له زيتوناً من هذا الحقل ، اختطفها عنوة وأخذ الزيتون إلى بيته ، وبالجهد والهوان صرف الحيوانات ومرافقيها . أمّا الشيخ المغبوط فلم يطالب بالثمر أبداً ، ولكن السيادة على الأرض لم يتساهل بها للسبب الذي ذكر . فغضب فكاتوس من الأب جيلاسيوس ، ولما استدعته حاجات أخرى ، وكان محباً للخصام ، توجه إلى القسطنطينية سيراً على الأقدام . ولما بلغ انطاكية في وقت لمع فيه القديس سمعان كالنور ، أراد كمسيحي أن يراه . فلما رآه القديس سمعان من العامود وهو يدخل الدير ، سأله : من أين أنت وإلى أين تتوجه ؟ قال له : أنا من فلسطين مررت من هنا قاصداً القسطنطينية . أجابه القديس سمعان : ولأي سبب تقصد القسطنطينية ؟ قال فكاتوس : لحاجات كثيرة ، وأرجو بصلواتك أيها الأب القديس أن أعود وأسجد لآثارك المقدسة . فقال له القديس سمعان : لا تريد أيها الإنسان البائس أن تقول إنك ذاهب للعمل ضد رجل الله . إلاّ أن الأمور لن تكون كما ترغب ، وبيتك لن تراه بعد الآن . وإذا سمعت لي عد حالاً إليه تائباً ، هذا إذا وصلت ذلك المكان حياً . للحال انتابته الحمى ، فأسرع يطلب مسقط رأسه حسب قول القديس سمعان محمولاً على نقّالة من قبل مرافقيه لكي يعرب عن ندامته وتوبته للأب جيلاسيوس . وما أن وصل إلى بيروت حتى وافته المنية دون أن يرى بيته حسب نبوءة القديس . هذه الحادثة سردها ابنه الذي كان اسمه فكاتوس أيضاً ، إلى أناس كثيرين يثق بهم ، وذلك بعد وفاة والده .

٣ ـ وهذه رواها كثيرون من تلاميذه ، أنه ذات مرة أحضرت إليه سمكة ، فقلاها الطاهي وأعطاها إلى المسؤول في القلاية ، فوضعها في وعاء وتركها على

الأرض ، وأوصى بها فتى كان تلميذاً صغيراً للأب جيلاسيوس ، لأنه خرج إلى حاجة ملحّة . لكن الولد ، لشراهته ، بدأ يلتهمها بنهم . ولما عاد المسؤول إلى القلاية ، وجد الغلام جالساً على الأرض يأكل ، فغضب منه وركله بقدمه دون وعي ، وهذا كان بفعل شيطاني ، فأصيب الصبي في موضع حساس فأغمي عليه ومات ، فاعترى المسؤول هلع عظيم وأخذ الولد ومدّده على فراشه وغطاه ، ثم مضى وانطرح عند قدمي الأب جيلاسيوس مخبراً إياه بما حدث . فنصحه الأب أن لا يقول لأحد شيئاً ، وأمره أن يأتي بالولد ويضعه في الكنيسة أمام المذبح أثناء الليل بعد أن يكون الجميع قد ناموا . ولما دخل الشيخ إلى الكنيسة أخذ يصلّي . وفي ساعة الإنشاد الليلي عندما اجتمع الإخوة ، خرج الشيخ يتبعه الصبي دون أن يدري أحد بما حدث ، سوى الشيخ ومسؤول القلاية ، حتى رقاده .

٤ ـ لم يذكر تلاميذ الأب جيلاسيوس فقط ، لكن كثيرون من الذين كانوا يزورونه باستمرار ، انه أيام المجمع المسكوني المنعقد في خلقيدون ، عاد ثيودوسيوس[1] الذي قاد أولاً الإنشقاق الديوسقوري في فلسطين قبل أن يعود الأساقفة إلى كنائسهم ، (لأنه كان موجوداً هو أيضاً في القسطنطينية مضطهداً في وطنه ، إذ كان يسرّ بالمشاغبة دائماً) ، اندفع نحو الأب جيلاسيوس في ديره محدّثاً إياه ضد المجمع ومدّعياً أن المجمع قد أقر بدعة نسطوريوس ظاناً أنه بذلك سيأخذ القديس إلى جانبه في ادعاءاته . لكن القديس جيلاسيوس فهم رأيه الفاسد من حالته ، ومن التعقل الإلهي الذي كان عند القديس نفسه . فلم يتبعه في غيّه وارتداده كما فعل أغلب معاصريه ، لكنه رده مخذولاً كما يليق به ، بأن أحضر الصبي الذي أقامه من الموت وقال بطريقة محتشمة : إذا كنت تريد أن تتحاور بشأن الإيمان ، فأمامك هذا الصبي ليسمع أقوالك

(١) عندما عاد الراهب المصري ثيودوسيوس من خلقيدون سنة ٤٥١ أخذ يثير رهبان فلسطين ضد مجمع خلقيدون ، زاعماً أن المجمع قبل تعاليم نسطوريوس . كما أبعد البطريرك أيوفينياليوس عن كرسيه ونصب نفسه مكانه . لكن بعد سنتين أمّن الامبراطور مرقيانوس عودة البطريرك الأصيل .

ويحاججك ، لأني مشغول وليس عندي الوقت لأسمع ما تقول . فاضطرب ثيودوسيوس وتوجه إلى المدينة المقدسة (أورشليم) مختطفاً معه كل العالم الرهباني ومتخذاً قناع الغيرة الإلهية ، كما أنه اتخذ من الامبراطورة التي كانت موجودة هناك عوناً له ، فاستولى عنوةً على عرش أورشليم ، مغتصباً إياه بقتلٍ وأعمال تخالف القانون ما يزال الكثيرون يذكرونها إلى الآن . فلما أيقن بفكره أنه قد أصاب الهدف ، وبعد أن رسم العديد من الأساقفة مستولياً على كراسي الأساقفة الذين لم يرتدّوا عن الإيمان ، استدعى الأب جيلاسيوس وقاده نحو الهيكل بالوعد والوعيد . وعندما دخل الهيكل ، قال ثيودوسيوس : أبسل يوبيناليوس . أجاب الأب جيلاسيوس دون خوف : لا أعرف أسقفاً آخر سواه . ولئلا يتبعه آخرون في حماسة الورع ، أمر ثيودوسيوس أن يخرجوه بحكمة من الكنيسة . فقاده رجال من دعاة الانشقاق وأحاطوه بالأخشاب مهددين إياه بالحرق . ولكن لما رأوا أنه لا يتراجع ولا يلين ، وخوفاً من ثورة الشعب ، لأنه كان معروفاً (كل شيء يأتي من العناية الإلهية) ، تركوا الشهيد بلا أذى ، بينما كان كل ما عليه محترقاً للمسيح .

٥ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه في شبابه كان يعيش عيشة الفقر والتوحد ، وكان في نفس الوقت كثيرون يعيشون الحياة ذاتها في تلك الأمكنة . من بين هؤلاء كان هناك شيخ بسيط جداً وفقير يقيم في قلاية منفردة حتى مماته . هذا كان يجاهد منتبهاً لنفسه لئلا يملك ردائين وينشغل هو وتلميذه بهموم الغد. وحدث أنه عندما صعد الأب جيلاسيوس لكي يقيم (بمعونة إلهية) حياة مشتركة في أحد الأديار ، قُدمت إليه أملاك كثيرة وحصل على حاجات الدير من حيوانات ودواب وثيران . لأن ذلك الذي أعطى المسحة الإلهية إلى باخوميوس لكي يؤسس أول دير ، ساعده هو أيضاً في كل تجهيزات الدير . وعندما رآه ذلك الشيخ الفقير والذي ذكرناه ، محتفظاً بمحبته الصافية نحوه ، بالرغم من كل الانشغالات التي لديه ، قال له : أخشى أيها الأب جيلاسيوس أن يرتبط تفكيرك بالحقول والأراضي . فأجابه الأب قائلاً : إن تفكيرك ارتبط بالمشغل

الذي تشتغل به أكثر بكثير من ارتباط تفكير جيلاسيوس بالأملاك .

٦ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه كثيراً ما كان يقض مضجعه التفكير بالذهاب إلى البرية . وفي يوم من الأيام قال لتلميذه : اعمل لي هذا المعروف يا أخي ، واحتمل كل ما أفعله ولا تكلمني أبداً هذا الأسبوع . وأخذ غصن نخيل وبدأ يمشي في ساحته ، وعندما تعب جلس قليلاً ثم عاد ونهض وتابع السير من جديد . ولما حلّ المساء أخذ يقول في نفسه : إن من يسير في البرية لا يأكل خبزاً بل أعشاباً ، ولكن أنت بسبب ضعفك كلْ خضاراً صغيرة . ولما فعل هذا ، قال في فكره : من يعيش في الصحراء لا ينام تحت سقف إنما في العراء . وأنت إذاً ، افعل هذا . وانحنى ونام في الباحة . ولما كان يقضي ثلاثة أيام سائراً في الدير ويأكل الهندباء المرة عند المساء وينامْ في العراء ، تعب . فانتهر الفكر الذي كان يقلقه ووبّخ نفسه قائلاً : إذا كنت لا تستطيع أن تعمل أعمال البرية اجلس في قلايتك بتجلد وصبر باكياً خطاياك ، ولا تضلّ . لأن عين الله ترى في كل مكان أفعال الناس ولا يخفى عليه شيء البتة ، ويعرف أولئك الذين يعملون الأعمال الصالحة .

الأب يروندیوس

١ ـ قال الأب يروندیوس الذي من بترا : إن كثيرين من الذين يجرَّبون بلذات الجسد دون أن يقتربوا من الأجساد، قد زنوا بالفكر . إذ بينما تبقى الأجسا بكراً يزنون بالنفس . حسن إذن يا أحبائي أن نعمل ما هو مكتوب ، وأن يحف كل واحد قلبه بكل يقظة وصحو .

الأب دانيال

- قالوا عن الأب دانيال إنه لما جاء البرابرة إلى الاسقيط هرب الآباء . فقال الأب دانيال : إذا كان الله لا يهتم بي ، لماذا أحيا ؟ وهكذا اجتاز في وسطهم ، فلم يروه . فقال في نفسه : ها إن الله قد اهتم بك ولم تمت ، فاعمل أنت أيضاً ما هو إنساني ، واهرب كما هرب الآباء .

- سأل أخ الأب دانيال قائلاً : أعطني وصية فأحفظها . قال له الأب : لا تضع يدك في قصعة (صحن) مع امرأة . ولا تأكل معها . بهذه الطريقة تنجو قليلاً من شيطان الزنى .

- حدّثنا الأب دانيال انه كان هناك في ابنة أحد القواد في بابل شيطان ، وكان لأبيها صديق راهب ، فقال له : لا أحد يقدر أن يشفي ابنتك إلاّ الرهبان المتوحدون الذين أعرفهم . لكن إذا تضرّعت إليهم ، فإنهم سيرفضون طلبك بداعي تواضعهم . إلاّ اننا سنعمل هذا : عندما يأتي هؤلاء إلى السوق ، تظاهر وكأنك تريد أن تشتري سلالهم ، وعندما يأتون لأخذ الثمن نطلب منهم أن يصلّوا لنا ، وأعتقد انها ستشفى . فلما خرجا إلى السوق صادفا تلميذ أحد الشيوخ جالساً يبيع سلالهم ، فحملاه على الذهاب معهما والسلال أيضاً ، لأخذ الثمن . هذا لما بلغ إلى البيت ، تقدمت الفتاة التي بها شيطان ولطمته ، فما كان منه إلاّ أن أدار لها الخد الآخر عملاً بالوصية . فتعذب الشيطان وصرخ قائلاً : يا للعنف ! إن وصية المسيح تخرجني . للحال طهرت الفتاة . فلما جاء الشيوخ أبلغوهم بما حدث ، فمجدوا الله وقالوا : إنه من المألوف أن يتداعى كبرياء الشيطان أمام تواضع وصية المسيح .

٤ ـ قال الأب دانيال أيضاً : بمقدار ما ينتعش الجسد تضعف النفس . وبمقدار ما يضعف الجسد تنتعش النفس .

٥ ـ ذات يوم ، كان الأب دانيال يمشي بصحبة الأب أمويس ، فقال الأب أمويس : متى سنجلس في القلاية يا أبتِ ؟ قال له الأب دانيال : ترى من ينزع اللّه منا ؟ اللّه في القلاية وخارجها .

٦ ـ حدّثنا الأب دانيال أن الأب أرسانيوس كان في الاسقيط ، وكان هناك راهب اعتاد أن يسرق سلال الآباء . فأخذه الأب أرسانيوس إلى قلايته مريداً أن يريحه ويريح الآباء منه ، وقال له : مهما طلبت مني أعطيك ، شرط أن لا تسرق . ثم أعطاه ذهباً ونقوداً ولباساً وكل ما كان بحاجة إليه . لكنه خرج وسرق من جديد . فلما رأى الآباء هذا ، وعلموا أنه لم يكفّ عن السرقة ، طردوه قائلين : إذا وجد أخ فيه ضعف أو علة احتفظوا به ، ولكن إذا كان يسرق فاطردوه ، لأنه يهلك نفسه وكل الذين معه يجعلهم يضطربون .

٧ ـ قال الأب دانيال الفرانيتي : حدّثنا أبونا الأب أرسانيوس عن إنسان اسقيطي رفيع الشأن في العمل ساذجٍ في الإيمان . هذا بسبب الجهل كان يسقط في الخطأ ويقول : إن الخبز الذي نتناوله ليس هو بالطبيعة جسد المسيح إنما مجرد رمز له . فسمع اثنان من الشيوخ أنه يقول هذا الكلام . ولكن لما كانا يعرفان أن هذا الإنسان حسن السيرة ، ظنّا أنه يقول هذا عن حسن نية وعن سذاجة . فجاءا إليه وقالا له : يا أبانا ، لقد سمعنا عن إنسان كلاماً لا يصدق وهو أن الخبز الذي نتناوله ليس بالطبيعة جسد المسيح إنما هو مجرد رمز له ، ما رأيك ؟ قال الشيخ : أنا هو الذي يقول هذا . فطفقا يتوسلان إليه قائلين : لا تتمسك بهذا الرأي يا أبانا ، إنما ليكن لك الإيمان الذي تسلمناه من الكنيسة الجامعة . لأننا نؤمن أن الخبز نفسه هو جسد المسيح ، وما في الكأس هو دمه حقاً وليس رمزياً كما تقول . لأنه كما أنه منذ البدء أخذ تراباً من الأرض وجبل الإنسان

على صورته ، لا أحد يقدر أن يقول إن هذا خبز ، والرب قال عنه إنه جسده . فنحن نؤمن أنه جسد المسيح حقاً . قال الشيخ : إذا لم أقتنع من الأشياء لا أؤمن . فقالا له : لنضرع إلى الله طيلة هذا الأسبوع لأننا نؤمن بأنه سيكشف لنا هذا السر . فقبل الشيخ كلامهما بفرح وتضرع إلى الله قائلاً : يا رب ، أنت تعلم أن موقفي هذا ليس عن سوء نية .لكن لئلا انخدع بالجهل ، أكشفه لي أيها الرب يسوع المسيح . ولما عاد الراهبان إلى قلايتهما ، تضرعا إلى الله قائلين : أيها الرب يسوع المسيح ، أكشف لهذا الأخ السر هذا ، لكي يؤمن بك فلا يضيع تعبه ؛فاستجاب الله لهما . فلما تمت أيام الأسبوع ، جاءا إلى الكنيسة يوم الأحد ووقف الثلاثة معاً عند أحد الأعمدة ، وكان الشيخ في الوسط ، فانفتحت أعينهم ، ولما وُضع الخبز على المائدة المقدسة بدا لهم جميعاً كأنه طفل . ولما مدّ الكاهن يده ليكسر الخبز ، للحال هبط ملاك الرب من السماء حاملاً بيده سكيناً ذبح به الطفل وسكب دمه في الكأس . ولما كان الكاهن يقطع القربان إلى قطع صغيرة ، كان ملاك الرب يقطع الطفل إلى قطع صغيرة . ولما تقدم الجميع إلى المناولة ، أعطي الشيخ لحماً مغمساً بالدم . فلما رأى ذلك ارتاع جداً وصرخ قائلاً: أؤمن يا رب بأن هذا الخبز هو جسدك ، وأن ما في هذه هو دمك . للحال تحوّل اللحم الذي بين يديه إلى خبز وفقاً للسر ، فتناوله وشكر الله . فقال له الرهبان : الله يعرف أن الطبيعة الإنسانية لا تقدر أن تأكل لحماً نيئاً ، لهذا حوّل جسده إلى خبز ودمه إلى خمر للذين يقبلون هذا بإيمان . فشكر الجميع الله عن الراهب المرتاب الذي لم تذهب

٨ ـ قال الأب دانيال نفسه عن راهب كبير كان يعيش في مصر السفلى إنه كان يقول بسذاجة إن ملكيصادق هو ابن اللّه . فنقل النبأ إلى المغبوط كيرلّس رئيس أساقفة الإسكندرية ، فأرسل يستدعي الراهب . ولما كان يعرف أن الراهب هذا يجترح العجائب ، وأن كل ما يطلبه من اللّه يكشفه له ، وأن الراهب يقول هذا الكلام بسذاجة ، لجأ إلى الحكمة التالية قائلاً : يا أبت أتوسل

إليك ، لأن فكري يقول لي إن ملكيصادق هو ابن اللّه ، وفكراً آخر يقول إنه ليس ابن اللّه إنما رئيس كهنة اللّه . لهذا بما أن الشكوك تنتابني ، أرسلت في طلبك حتى تتضرع إلى اللّه فيكشف لك الأمر . فالراهب هذا ، لما كانت له ثقة كبيرة في فضيلته ، قال بصراحة : أعطني ثلاثة أيام حتى أسأل اللّه عن هذا الأمر ، وبعد ذلك أعود ثم أخبرك من هو . فمضى وصلّى إلى اللّه متضرعاً أن يكشف له هذا الأمر . ثم عاد بعد ثلاثة أيام وقال للأسقف إن ملكيصادق إنسان . فسأله رئيس الأساقفة : وكيف عرفت هذا يا أبت ؟ قال : لقد كشف لي اللّه كل البطاركة ، فكانوا يمرون أمامي الواحد تلو الآخر من آدم حتى ملكيصادق . لهذا كن متيقناً أن الأمر هكذا . ولما مضى كرز هو نفسه ، بأن ملكيصادق إنسان ، ففرح المغبوط كيرلّس جداً .

الأب ديوسقورس

١ ـ قالوا عن الأب ديوسقورس الذي من نخياستي إن خبزه كان من الشعير والعدس . وكل سنة كان يضع لنفسه بداءة للنسك قائلاً : لن أقابل أحداً هذه السنة ، أو لن أتكلم أو لن آكل مسلوقاً أو فاكهة أو خضاراً . وفي كل عمل كان يصنع هكذا . ولما كان ينتهي من الأول يبدأ بالثاني ، وهكذا دواليك كل عام .

٢ ـ قال أخ للأب بيمن : يا أبت ، أفكاري تزعجني كثيراً وتلهمني أن أترك خطاياي وانشغل بهفوات قريبي . فقال له الأب بيمن عن الأب ديوسقورس إنه كان يقيم في قلايته يبكي نفسه . أمّا تلميذه فكان يقيم في قلاية أخرى . فالتلميذ لما كان يزور الشيخ كان يجده غارقاً في البكاء ، فكان يقول له : يا أبت ، لماذا تبكي ؟ فكان جواب الشيخ : أبكي خطاياي يا ولدي . فقال التلميذ : ليس عندك خطايا يا أبتِ . أجاب الأب بيمن : في الحقيقة يا بني ، لو ترك لي أن أرى خطاياي ، عندئذ لا يكفيني ثلاثة أو أربعة آخرون يبكونها معي .

٣ ـ قال الأب ديوسقورس : إذا لبسنا ثوبنا السماوي فلا نكون عراة . ولكن إذا لم نلبسه فماذا سنعمل يا إخوتي ؟ لا ريب في أننا سنسمع ذلك الصوت القائل : « اطرحوه إلى الظلمة الخارجية ، إذ هناك يكون البكاء وصريف الأسنان » (متى ٢٢ : ١٣) . على كل حال يا إخوتي ، إنه عار علينا بعد أن لبسنا هذا الثوب (الاسكيم)[١] ، زماناً طويلاً ، أن نوجد وقت الحاجة بدون لباس العرس . كم من التوبة سيصير لنا في المستقبل . أي ظلام سيهبط علينا أمام آبائنا وإخوتنا عندما يشاهدوننا نأخذ جزاءنا من ملائكة العقاب .

الأب دولاس

١ ـ قال الأب دولاس : إذا أرغمنا العدو على هجر السكينة ينبغي أن لا نصغي إليه لأنه لا شيء يماثلها في الوجود . كذلك هو الحال مع الصوم . فالصوم يقترن بالسكينة في تحالف ضد العدو . وهذان (الصوم والسكينة) يعطيان العين الداخلية وضوحاً في الرؤية وحدّة في النظر .

٢ ـ وقال أيضاً : اقطع علاقتك مع الكثيرين حتى لا تكون حربك مع العقل الأعلى مزعجة ، فتثير الاضطراب في طريقة هدوئك[٢] .

---

(١) الاسكيم هو علاقة قبول النذور الرهبانية .

(٢) هذا القول يشبه قولاً لإفاغريوس البنطي (٢) . راجع « فصول في الصلاة والحياة الروحية » . منشورات النور ، ١٩٨٣ .

القديس ابيفانيوس اسقف قبرص

١ ـ حدّثنا القديس إبيفانيوس الأسقف أنه ، في عهد المغبوط أثناسيوس الكبير ، كانت هناك جماعة من الغربان تطير على مقربة من هيكل سرابذوس . وكانت تنعب بدون توقف : كراك . . . . كراك . . . . كراك . . . . كراك . . . . . فجاء عبدة الأوثان إلى القديس أثناسيوس وقالوا له : أيها الشيخ الشرير ، قل لنا لماذا تنعب الغربان ؟ أجاب : الغربان تنعب وتقول : كراك . . . كراك . . . . التي تعني في لغة اللاتين « غداً » . ثم أردف : غداً سترون مجد الله . وفي اليوم التالي وصل نبأ وفاة الملك يوليان . فلما حدث هذا اجتمعوا كلهم ونادوا بسرابذوس . إذا كنت لا تريده لماذا كنت تقبل عطاياه ؟

٢ ـ هو نفسه قال إنه في مدينة الإسكندرية كان يعيش حوذي ابن امرأة تدعى مريم . هذا سقط مرة عن ظهر جواده أثناء سباق للخيل . إلاّ أنه نهض من جديد واجتاز الذي سبقه وفاز في السباق، فصرخ الجمهور قائلاً: إبن مريم سقط ونهض وانتصر. ولمّا كان هذا الصوت يطن في المسامع بعد، سرى بين الجمهور نبأ اعتلاء ثيوفيلس الكبير السدة وانه قد حطم صنم سريذوس واستولى على المعبد.

٣ ـ أُعلن للمغبوط إبيفانيوس أسقف قبرص على لسان رئيس دير تابع له في فلسطين أنه بصلواتك لم نهمل قانوننا ، إنما نقيم الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة بحماس كبير . أمّا هو فانتقدهم وقال لهم : من الواضح انكم تهملون ساعات النهار الأخرى طالما انكم تتوانون عن الصلاة ، لأن الراهب الحقيقي ينبغي أن يحوي الصلاة في قلبه على الدوام .

٤ ـ أرسل القديس إبيفانيوس إلى الأب إيلاريون إنساناً يستعطفه ويقول : دعنا نرى بعضنا قبل خروجنا من هذا الجسد . فلما التقيا فرحا جداً . ولمّا جلسا للطعام دُفعت إليهما دجاجة ، فتناولها الأسقف وأعطاها للأب إيلاريون ، فقال إيلاريون : سامحني يا أخي ، لأني مذ أخذت الاسكيم لم آكل مذبوحاً . فقال له الأسقف : أمّا أنا فمنذ ان أخذت الاسكيم لم أترك أحداً ينام وفي قلبه عليّ شيء ، ولا أنا نمت وفي قلبي شيء على أحد (متى ٥ : ٢٣ ـ مرقس ١١ : ٢٥) . قال الأب إيلاريون : سامحني يا أخي ، لأن فضيلتك أعظم من فضيلتي .

٥ ـ قال القديس إبيفانيوس : إذا كانت صورة المسيح ، ملكيصادق ، قد باركت أصل اليهود ، أي ابراهيم ، فكم بالحري المسيح نفسه الذي يبارك كل الذين يؤمنون به ويقدّسهم .

٦ ـ هو نفسه قال : الكنعانية تصرخ فيُسمع لها ، والنازفة الدم تصمت فتُغبّط ، لكن الفرّيسي يصرخ فيُدان ، والعشّار لا يفتح فاه فيُستجاب له (متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٨ ، متى ٩ : ٢٠ ـ ٢٢ ، لوقا ١٨ : ٩ ـ ١٤) .

٧ ـ هو نفسه أيضاً قال : النبي داود كان يصلّي دون تحديد وقت ، وينهض للصلاة في نصف الليل ، ويضرع إلى الله قبل السحر ، وفي السحر كان حاضراً ، وعند المساء ونصف النهار كان يبتهل إلى الله ، لهذا السبب كان يقول : « سبع مرات في اليوم سبّحتك» (مزمور ١١٨ : ١٦٤) .

٨ ـ وقال أيضاً : انه لمن الضروري اقتناء الكتب المسيحية عند من يقدر على ذلك ، لأن مجرد رؤيتها تجعلنا بعض الشيء متكاسلين نحو الخطيئة وتحثنا على العودة إلى البرّ أكثر .

٩ ـ وقال أيضاً : إن قراءة الكتب المقدسة ضمانة كبيرة للهرب من الخطيئة .

١٠ ـ وقال أيضاً: إن جهل الكتب المقدسة هاوية عميقة ومنخفض سحيق .

١١ ـ وقال أيضاً : إنها لخيانة للخلاص عظيمة ان لا نعرف ولا ناموساً واحداً من النواميس الإلهية .

١٢ ـ وكان يقول : إن خطايا الأبرار تقترن بالشفاه ، أمّا خطايا الأشرار فتقترن بالجسد كله . لأجل هذا يقول النبي داود : « إجعل يا رَبّ حارساً لفمي وباباً حصيناً على شفتي » (مزمور ١٤٠ : ٣) . وأيضاً : « أنا قلت سأحفظ طرقي لئلا أخطأ بلساني » (مزمور ٣٨ : ٢) .

١٣ ـ سئل القديس إبيفانيوس : لماذا تكون الوصايا الناموسية عشراً والتطويبات تسعاً قال : الوصايا العشر مساوية في العدد لضربات المصريين ، أمّا التطويبات فهي صورة ثالوثية للثالوث القدوس .

١٤ ـ سُئل هو نفسه : هل يكفي بارّ واحد لاستعطاف الله ؟ قال : نعم ، لأنه قال : « جد لي واحداً يحفظ الحق والبرّ فأرحم كل الشعب » (إرميا ٥ : ١) .

١٥ ـ هو نفسه قال أيضاً : الله يمنح الخطأة رأس المال عندما يتوبون ، كما هو الحال مع الزانية والعشّار ، ولكنه من الأبرار يطلب الفائدة . وهذا ما قاله للرسل : « إن لم يزد بركم على الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ٢٠) .

١٦ ـ وقال أيضاً : بالرخص الشديد يبيع الله البرّ للذين يبادرون إلى شرائه : بقطعة خبز صغيرة وثياب وضيعة وكأس ماء بارد وبفلس واحد .

١٧ ـ ثم أضاف هذا أيضاً : عندما يقترض الإنسان من إنسان مالاً ، أمّا بسبب الفقر ، أو لسعة أكبر ، ويردّ الدَين ويقرّ بالمعروف ، إنما يفعل ذلك خفية بسبب الخجل . أمّا الله السيد فيفعل العكس . يقترض في الخفاء ويرده أمام الملائكة ورؤساء الملائكة والأبرار .

القديس افرام

١ ـ كان القديس افرام طفلاً عندما رأى في الحلم أن كرمة صعدت إلى لسانه فنمت وكبرت وملأت الأرض وصارت كثيرة الثمر وكانت كل طيور السماء تأتي وتأكل من ثمارها . وكان ، كلما ازداد عدد الآكلين منها ، يكثر ثمرها ويزيد .

٢ ـ ذات يوم رأى أحد القديسين ، في رؤيا ، جماعة من الملائكة يهبطون من السماء بأمر من الله وهم يحملون في أيديهم درجاً ، أي كتاباً ، مكتوباً عليه من الداخل والخارج ، وكانوا يقولون في ما بينهم : من سيستلمه ؟ فالبعض كانوا يقولون « فلان » ، والبعض الآخر « فلان » . إلاّ أنهم قالوا أخيراً : في الحقيقة هؤلاء كلهم قديسون وأبرار ، لكن الكتاب هذا لا يقدر أن يتسلمه سوى أفرام . فرأى هذا الشيخ صاحب الرؤيا أن الملائكة قد سلّمت الكتاب إلى أفرام . ولمّا نهض عند الصباح سمع أفرام يبشر كما لو كان ثمة نبع يتدفق من فمه ، ففهم ان ما كان ينسكب على شفتيه هو من الروح القدس .

٣ ـ وذات يوم جاءت إلى أفرام امرأة زانية تريد أن تجربه بكلماتها من أجل جماع مشين . وكانت تبغي في حال رفضه طلبها ، أن تحركه على الأقل إلى الغضب ، لأن أحداً من الناس لم يكن يراه يغضب أبداً . قال لها افرام : اتبعيني . فلمّا جاء إلى مكان يعج بالناس قال لها : هلمّي الآن نفعل ما تريدين . لكن هذه بعد أن رأت الجموع الكثيرة ، قالت له : كيف نقدر أن نفعل هذا أمام جمهور كهذا واقف هنا ، ودون أن نخجل ؟ فقال لها أفرام : إذا كنا نستحي من الناس فكم بالأحرى ينبغي لنا أن نخْجل من الله الذي يفحص خفايا القلوب . فتركته المرأة لفرط خجلها ، خائبة الظن .

إفخارستوس الذي في العالم

١ ـ تضرع اثنان من الآباء إلى الله أن يكشف لهما إلى أي قياس روحي وصلا . فجاءهما صوت يقول : في القرية الفلانية من مصر إنسان يدعى أفخارستوس يعيش مع زوجته مريم . أنتما لم تبلغا بعد إلى قياسهما . فنهض الراهبان وتوجها إلى تلك القرية . وبعد البحث عن أفخارستوس وجدا حجرته وامرأته مريم ، فقالا لها : أين رجلك ؟ أجابت : إنه يرعى الغنم . ثم قادتهما إلى حجرته . ولمّا حلّ المساء عاد أفخارستوس إلى البيت مع القطيع . فلماّ رأى الشيخين أعدّ لهما للحال مائدة وأحضر ماء ليغسل أرجلهما . فقال له الضيفان : لن نذوق شيئاً من عندك إذا لم تحدثنا عن عملك . فقال أفخارستوس بتواضع : أنا راعٍ وهذه زوجتي . فألح عليه الراهبان الشيخان متضرعين إليه أن يخبرهما . أمّا هو فلم يشأ أن يتكلم . فقالا له : الله أرسلنا إليك . فلما سمع هذا الكلام ارتاع ، ففتح فاه وقال : هذه الأغنام ورثناها عن أهلنا ، وكل ما يجود به الله علينا نقسمه إلى ثلاثة . الأول نقدمه للضيوف ، والثاني نوزعه على الفقراء ، والثالث نتركه لحاجتنا . ومن يوم زفافنا إلى الآن لم نتنجس ، إذ إنها عذراء . في الليل ننام على انفراد ونلبس مسحاً[1] ، وفي الصباح نعود فنلبس ثيابنا . وإلى الآن لا أحد من الناس يعرف بهذا . فلما سمع الشيخان هذا الكلام تعجبا ، وغادرا البيت ممجدين الله .

---

(١) المسوح لباس متقشف جداً .

أفلويوس الكاهن

١ ـ أفلويوس ، تلميذ المغبوط يوحنا الأسقف وكاهن وناسك كبير ، كان يصوم كل يومين . ومراراً كثيرة كان يطيل صومه إلى أسبوع كامل عائشاً على الخبز والملح ، فتعجب الناس من سيرته . هذا زار الأب يوسف في بنفو متوقعاً أن يجد عنده نسكاً أقسى . فقبله الأب يوسف بفرح وقدّم له ممّا عنده . فقال تلاميذ أفلويوس : الأب أفلويوس لا يأكل سوى خبز وملح . أمّا الأب يوسف فكان يأكل صامتاً . وبعد أن أقاموا عنده ثلاثة أيام ، لم يسمعوهما يصلّيان أو يرتلان ، لأن عملهما كان خفياً . وهكذا خرجوا دون أن ينتفعوا . ولكن ، بتدبير إلهي ، حلّ ضباب على المكان كله ، فكادوا أن يضلّوا فعادوا إلى الأب يوسف . لكن قبل أن يقرعوا الباب ، سمعوهما يرتلان ، فوقفوا مدة طويلة قبل أن يقرعوه . بعد ذلك توقف الشيخان عن الإنشاد واستقبلاهم بفرح . ولشدّة الحر سكب تلاميذ أفلويوس ماء في وعاء وقدّموه إليه . وكان الماء الذي في الوعاء مزيجاً من ماء البحر والنهر ، فلم يقدر أن يشرب . بعد هذا سقط عند قدمي الشيخ يريد أن يعرف سيرته وقال : يا أبانا ، ما هذا ؟ أثناء وجودنا بينكما لم ترتلا ، وبعد رحيلنا ها قد بدأتما بالترتيل . كذلك الوعاء الذي أخذته وجدت أن فيه ماء مالحاً . قال الشيخ : لقد انخدع الأخ وسكب في الوعاء ماء مالحاً . فرجاه أفلويوس مريداً أن يعرف منه الحقيقة . فقال الشيخ : إن كأس الخمر الصغيرة هي للعشاء المشترك . لكن الماء الذي هنا فهو الذي يشربه الإخوة على الدوام . ثم لقنه تمييز الأفكار وفرز له كل ما هو إنساني ، فصار معتدلاً وبدأ يأكل من كل ما يقدم له ، وتعلّم العمل في الخفية ، ثم قال للشيخ : في الواقع ، عملك حقيقي يا أبت .

الأب أفبربيوس

١ ـ قال الأب أفبربيوس : إذا ملكت في قلبك الثقة واليقين بأن الله أمين وقدير ، آمن به فتشترك في ما له . ولكن إذا لم تكترث فلن تؤمن . ونحن ما دمنا نؤمن بأنه قوي وقدير ، فإننا نؤمن بأن كل شيء ممكن له . ولكن في أمورك أنت آمن به ، لأنه فيك أيضاً يجترح آيات وعجائب .

٢ ـ هو نفسه ، عندما سلبوا له أمتعته ، كان يساعدهم على نقلها . ولكن لمّا أبقى اللصوص له عصاه ، حزن جداً وحملها وشرع يركض وراءهم يريد أن يعطيهم إياها . لكن هؤلاء رفضوا أن يقبلوها لأنهم كانوا يخشون حدوث شيء لهم . فما كان من أفبربيوس إلاّ أن سلّمها للمارة الذين كانوا يسلكون الإتجاه ذاته ورجا منهم أن يسلّموهم اياها .

٣ ـ قال الأب أفبربيوس : الجسديات مادة . فالذي يحب العالم يحب العثرة . لذلك إذا حدث وفقدنا شيئاً لنا ، علينا أن نقبل هذا بفرح وحمد على اننا قد انعتقنا وتحرّرنا من بعض الإهتمامات .

٤ ـ سأل أخ الأب أفبربيوس عن الحياة ، فقال له : كل عشباً ، البس عشباً ، نم بين الأعشاب[1] . فقط إجعل قلبك من حديد .

٥ ـ سأل أخ الأب أفبربيوس قائلاً : كيف تحلّ مخافة الله في النفس ؟ أجابه الأب : إذا اقتنى الإنسان التواضع واللاقنية واللاعيب يصير فيه خوف الله .

---

(١) ويقصد بهذا أن على الإنسان أن يحتقر كل شيء .

٦ ـ هو نفسه قال : فليلازمك خوف الله والتواضع والحرمانِ من الأطعمة وأيضاً النوح .

٧ ـ زار الأب أفبربيوس في بداية حياته ناسكاً وسأله : يا أبتِ ، قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الناسك : إذا أردت أن تخلص لازم عدم الكلام ولا تسبق أحداً إليه . لا تتكلم قبل أن يسألوك . فتأثر أفبربيوس من كلام الناسك وصنع له مطانية قائلاً : في الحقيقة ، اني قرأت كتباً كثيرة ، لكني لم أسمع بتربية كهذه . ثم خرج من عنده منتفعاً جداً .

الأب ألاذيوس

١ ـ قالوا عن الأب ألاذيوس إنه أقام عشرين سنة في القلالي لم يرفع عينيه إلى فوق ليرى سقف الكنيسة .

٢ ـ قالوا عن الأب ألاذيوس أيضاً أنه كان يأكل خبزاً وملحاً . فلما كان الفصح قال : الإخوة يأكلون خبزاً وملحاً ، أمّا أنا فعليّ أن أبذل جهداً من أجل الفصح . في الأيام السالفة كنت آكل وأنا جالس ، لكن الآن ، في زمان الفصح ، سأبذل جهداً لآكل وأنا واقف .

الأب إفاغريوس

١ ـ قال الأب إفاغريوس : عندما تجلس في قلايتك إجمع فكرك . تذكر أيام الموت . تأمل عندئذ في موت الجسد وافهم المصيبة . التزم الألم وامقت أباطيل العالم لكي تتمكن من أن تثبت في السكينة ، ولا تضعف . ثم تذكَّر الحالة في الجحيم . فكِّر في النفوس التي هناك وحالتها ، وفي أي صمت هي ، وفي أي تنهد مرّ تقيم ، كذلك في أي خوف مريع هي وفي أي نزاع وترقب . فكِّر في الألم الذي لا ينتهي والدموع النفسية التي لا تنتهي . فكِّر في يوم القيامة والمثول أمام الله . تذكَّر متصوراً تلك الدينونة الرهيبة . استحضر أمامك ما يختص بالخاطئين ، والعار والخزي أمام الله والملائكة ورؤساء الملائكة والبشر . فكِّر بمكان العقاب والنار الأبدية والدود الذي لا ينام وجهنم والظلمة وصريف الأسنان والخوف والعذاب . استحضر أيضاً الخيرات التي تختص بالأبرار ، الدالّة أمام الله الآب ومسيحه يسوع والملائكة والرؤساء وكل رهط القديسين ، وملكوت السموات وعطاياه وفرحه والتمتع به . ضع في عقلك ذكر هذين الأمرين الآخرين . كذلك إبكِ دينونة الذين خطئوا واذرف الدمع ونُح خائفاً لئلا توجد أنت معهم . وافرح وسرّ من جهة الخيرات التي تختص بالأبرار . اهتم بها لكي تتذوقها وتتمتع بها . أمّا تلك ، فاجتنبها . انتبه كي تنسى ذكرها سواء في صومعتك أو في أي مكان آخر ، لكي تتمكن على الأقل من الهرب من الأفكار النجسة المؤذية .

٢ ـ وقال أيضاً : إقطع علاقتك مع كثيرين لئلا يصير عقلك كثير الإهتمامات فيضطرب هدوءك .

٣ ـ وقال أيضاً : عظيم أن يصلّي المرء بدون شرود لكن الأعظم هو أن يرتل بدون تشتت .

٤ ـ وقال أيضاً : تذكّر على الدوام ساعة خروجك ولا تنسى الدينونة الأبدية ، فلا توجد في نفسك خطيئة .

٥ ـ وقال أيضاً : أَبعِدْ التجارب ، فلا يخلص أحد .

٦ ـ وقال أيضاً : أخبرنا أحد الآباء أن أقسى أساليب الحياة هو الذي يقترن بالمحبة ، إذ سرعان ما يدخل الراهب إلى ميناء اللاهوى .

٧ ـ انعقد مجمع في القلالي بشأن أمر ما ، فتكلم الأب افاغريوس ، فقال له الكاهن : نعلم يا أبانا انك لو كنت في بلدك لأصبحت أسقفاً وزعيماً على كثيرين ، لكنك هنا تقيم كغريب . فتحرك افاغريوس لكنه لم يضطرب ، بل هز رأسه وقال له : بالصواب نطقت يا أبتِ . لكني « مرة تكلمت ، ومرتين لا أزيد » (أيوب ٣٩ : ٣٥) .

الأب افذمونوس

١ ـ قال الأب افذمونوس عن الأب بفنوتيوس أبِ الاسقيط : نزلت إلى هناك شاباً فلم يَدَعني أقيم قائلاً أمامي : إنني لا أترك مشهد امرأة يقيم في الاسقيط ، بسبب حرب العدو (١) .

---

(١) الأرجح أن افذمونوس كان أمرد عندما نزل إلى الاسقيط.

الأب زينون

١ ـ قال الأب زينون تلميذ المغبوط سلوان : لا تقم في مكان معروف ، ولا تجالس إنساناً ذائع الصيت ، ولا تضع قاعدة[1] تبني فوقها منسكاً خاصاً بك .

٢ ـ قالوا عن الأب زينون إنه منذ البدء لم يكن يريد أن يأخذ شيئاً من أحد . لهذا ، كل الذين جاؤوه بهدايا عادوا محزونين ، لأنه ما كان يقبل شيئاً من أحد . والبعض كانوا يأتون ليأخذوا منه كما من شيخ جليل عظيم ، فلم يكن عنده ما يعطيهم إياه . وهؤلاء أيضاً كانوا يعودون محزونين . فقال الشيخ : ماذا أعمل ما دام الذين يأتون يعودون محزونين ، والذين يطلبون يعودون أيضاً وقد أصابهم ما أصاب الأولين ؟ هذا هو الأنسب : إذا قدّم لي أحد شيئاً آخذه ، وإذا جاء أحد يطلب شيئاً أعطيه إياه . ولما عمل هذا كان يريح الجميع ويرضيهم .

٣ ـ زار أخ من مصر الأب زينون في سوريا . وكان ينتقد نفسه ويشتكي من أفكاره في حضرة الأب زينون . فتعجب الشيخ وقال له : إن الفضائل التي يملكها المصريون يخفونها ، لكن العيوب التي ليست فيهم يشتكون دائماً منها . أمّا السوريون واليونانيون فيدّعون اقتناء الفضائل التي ليست عندهم ، لكن العيوب التي عندهم يخفونها .

٤ ـ جاء إليه بعض الاخوة وسألوه قائلين : ما معنى المكتوب في سفر أيوب : «أمّا السماء فليست نقية » (١٥ : ١٥)؟ أجابهم الأب : لقد ترك الإخوة خطاياهم وشرعوا يبحثون عن السموات . هذا هو تفسير الآية . ولكن لما كان هو وحده

---

(١) اشارة إلى التغرب وعدم الإرتباط بالدنيويات .

نقياً وطاهراً ، قال : « أمّا السماء فليست نقية »[1] .

٥ ـ قالوا عن الأب زينون إنه ، لما كان في الاسقيط ، خرج في الليل من قلايته قاصداً الواحة ، فتاه وظل ثلاثة أيام وليالي يمشي . فلما أنهكه التعب سقط وأخذ ينتظر الموت . فانتصب أمامه صبي صغير كان يحمل بيده قطعة خبز وقارورة ماء وقال له : انهض وكل . فنهض وصلّى ظاناً أنه خيال . فقال له الصبي . حسناً فعلت . فصلّى للمرة الثانية والثالثة ، فقال له الصبي : حسناً فعلت . فنهض الشيخ وأخذ الخبز والماء وأكل . ثم قال له الصبي : مهما مشيت ستظل بعيداً عن قلايتك . انهض واتبعني . للحال وجد نفسه في قلايته . فقال له الشيخ : تعال وصلّ لنا . فلما دخل الشيخ اختفى الصبي .

٦ ـ ذات يوم ، بينما كان الأب زينون متجهاً إلى فلسطين ، جلس قليلاً عند حديقة فيها خضار ليأكل . فقال له فكره : خذ خيارة واحدة وكل . ما قيمتها ؟ فقال زينون لفكره : اللصوص يذهبون إلى الجحيم . جرِّب أنت نفسك ههنا لنرى إن كنت تحتمل الجحيم . فنهض ووقف خمسة أيام في الحر ، ولما احترق قال لفكره : إن كنت لا تقدر أن تحتمل الجحيم لا تسرق لتأكل .

٧ ـ قال الأب زينون : إن من يريد الله أن يستجيب صلاته ، عليه قبل كل شيء عندما ينهض للصلاة ويمد يديه نحو اللّه ، أن يصلّي أولاً من أجل أعدائه . وإذا ما فعل هذا فإن اللّه يستجيب لكل طلباته .

٨ ـ قالوا عن إنسان قروي إنه كان يصوم كثيراً ، حتى صاروا يسمّونه « الصوّام » . فلما سمع به الأب زينون ، أرسل يدعوه إلى زيارته ، فلبّى هذا الدعوة ومضى . وبعد الصلاة جلسا . فبدأ الشيخ يعمل بصمت دون أن يتمكن الصوّام من التحدث إليه ، فانزعج من الضجر وقال للشيخ : صلّ من أجلي يا أبتِ لأني راحل . فقال له الشيخ : ولماذا ؟ أجابه الصوّام : ان قلبي يكاد

---

(١) الجواب سقراطي . لكن عموماً هكذا كان جواب النساك في الأمور النظرية .

يحترق ولا أعرف ما به . لأني لما كنت في القرية ، كنت أصوم حتى المساء ولم يكن يصيبني ما يصيبني الآن . فقال له الشيخ : في القرية كنت تأكل بأذنيك . لكن انهض الآن وكلْ في التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر) ، وأي خير تصنع اصنعه في الخفاء . ولما بدأ يعمل هكذا كان ينتظر بضيق حتى التاسعة . فقال الذين عرفوه ان به شيطاناً . فجاء من جديد إلى الشيخ وذكر له كل ما يحدث له ، فقال له الشيخ : هذه الطريق هي الطريق إلى اللّه .

الأب زخريا

١ ـ قال الأب مكاريوس للأب زخريا : قل لي : ما هو عمل الراهب ؟ أجابه : أتسألني أنا يا أبت ؟ قال : لي ثقة بك يا ابني زخريا . لأن هناك ما يدفعني إلى طرح السؤال عليك . أجابه الأب زخريا : برأي يا أبتِ ، الراهب هو من غصب نفسه في كل شيء .

٢ ـ جاء الأب موسى إلى البئر ليستقي ، فوجد هناك الأب زخريا يصلّي لنا وروح اللّه يرفرف فروقه .

٣ ـ قال الأب موسى للأب زخريا : قل لي ماذا أعمل ؟ فلما سمعه هذا سقط عند قدميه قائلاً : أتسألني أنا يا أبتِ ؟ قال له الأب موسى : صدقني يا بني . رأيت الروح القدس نازلاً عليك . لهذا السبب أنا مجبر أن أسألك . عندئذ انتزع زخريا عمامته من فوق رأسه وطرحها تحت قدميه وداسها وهو يقول: إذا لم ينسحق الإنسان هكذا لا يقدر أن يصبح راهباً.

٤ ـ لما كان الأب زخريا في الأسقيط رأى رؤيا ، فقام وأطلع الأب كريونوس عليها . أمّا الشيخ ، فلما كان عملياً في تربيته وغير دقيق في مثل هذه الأمور ، نهض للحال وضربه قائلاً إن هذه الرؤيا من الشياطين . لكن هذا الفكر بقي . فنهض ومضى في الليل إلى الأب بيمن وقصّ عليه الأمر وكيف أنه يحترق في داخله . فلما رأى الشيخ أنه من الله قال له : اذهب إلى الأب الفلاني ، ومهما قال لك افعله . فلما مضى إليه أخبره بكل الأمر قبل أن

يكلمه ، وأردف : الرؤيا هذه هي من الله . إنما إذهب وأطع أباك[1] .

٥ ـ قال الأب بيمن إن الأب موسى سأل الأب زخريا عند موته : ماذا ترى ؟ أجابه زخريا : أليس من الأفضل أن نصمت يا أبتِ ؟ فقال له الأب موسى : نعم يا بني ، اصمت . وفي ساعة انتقاله تطلع الأب اسيذوروس إلى السماء وكان جالساً ، وقال : افرح وسر يا بني زخريا لأن أبواب ملكوت السموات قد انفتحت لك .

(١) الأب كريونوس كان والده بالجسد أيضاً. أي بالرغم من أن الأب هذا على حق في كلامه، إلاّ أن زخريا ينبغي أن يكون مطيعاً لأبيه.

الأب أشعيا

١ ـ قال الأب أشعيا : لا شيء ينفع المبتدىء كالشتم والاهانة ، لأنه ، كما أن الشجرة ترتوي كل يوم ، هكذا المبتدىء الذي يُشتم فيحتمل[١] .

٢ ـ قال أيضاً للذين بدأوا يخضعون جيداً للآباء القديسين : ان الصباغ الأول لا يزول كما في الأرجوان . ثم أردف قائلاً : كما أن الغصن الغضّ ينحني بسهولة ، هكذا يكون المبتدئون في الطاعة .

٣ ـ وقال أيضاً : إن المبتدىء الذي يتنقل من دير إلى دير يشبه حيواناً يطارده ذباب الخيل من كل الجهات .

٤ ـ وقال أيضاً : انتقد كاهن بيلوسيوس الاخوة عندما اجتمعوا حول مائدة المحبة ، فبدأوا يأكلون ويتكلمون في ما بينهم في الكنيسة ، قائلاً : إصمتوا يا اخوتي . لقد رأيت أخاً يأكل ويشرب الكأس مثلكم وصلاته ترتفع إلى الله مثل النار .

٥ ـ قالوا عن الأب أشعيا إنه حمل وعاءه ومضى إلى البيدر وقال للفلاح : أعطني قمحاً . أجابه الفلاح : وهل حصدت أنت أيضاً يا أبتِ ؟ قال له الأب أشعيا : كلا . فقال الفلاح : كيف تريد إذن ، أن تحصد من حيث لم تزرع ؟ فقال الأب : إذا لم يزرع الإنسان ألا يتقاضى أجراً ؟ أجابه الفلاح : كلا . وهكذا عاد الأب أدراجه إلى قلايته . فلما رأى الاخوة ما فعل سجدوا له

(١) الشتائم والاهانة تدرب على الصبر.

ورجوا منه أن يقول لهم لماذا فعل هكذا . قال لهم الأب : لقد فعلت هذا للعبرة ، حتى يفهم من لا يعمل أنه بدون العمل لا ينال جزاء من اللّه .

٦ ـ دعا الأب أشعيا واحداً من الاخوة وغسل له رجليه . ثم جعل حفنة من عدس في قدر ووضعه على النار . ولما بدأت تغلي أنزلها عن النار ، فقال له الأخ : لم تنضج يا أبتِ . قال له الأب : ألم تكفك النار التي رأيت ؟ هذه تعزية كبرى .

٧ ـ وقال أيضاً : إذا أراد الله أن يرأف بنفس ويرحمها ، تجمح ولا تحتمل وتفعل مشيئتها ، فيسمح اللّه أن تذوق ما لا تريد حتى إنها بهذه الطريقة تفتش عنه .

٨ ـ وقال أيضاً : عندما يريد الإنسان أن يقابل الشر بالشر ، فإنه يستطيع ، بإيماءة فقط ، أن يؤذي ضمير قريبه .

٩ ـ سُئل الأب أشعيا : ما هي محبة الفضة ؟ قال : هي عدم الإيمان بأن الله يهتم بك ، واليأس من وعوده ، ومحبة الافتخار والعظمة .

١٠ ـ سُئل أيضاً : وما هو الغضب ؟ قال : انه الجهل والخصام والكذب .

١١ ـ سُئل أيضاً : وما هي المذمة ؟ أجاب : هي جهلنا مجْدَ الله وحسدنا القريبَ .